مركز الدراسات والمراجعة العلمية
Center for Studies & Scientific Review

أوراق معرفية

مجلة فصلية تُعنى
بالمعرفة الدينية والثقافية

تصدر عن
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الدراسات والمراجعة العلمية

العدد السادس عشر

شهر رمضان- ١٤٤٣هـ- نيسان ٢٠٢٢م

مـركـز الدراسـات
والمراجعة العلمية
Center for Studies & Scientific Review

أوراق معرفية

المشرف العام

سماحة السيد أحمد الصافي

الإشراف العلمي

السيد ليث الموسوي

رئيس التحرير

السيد عقيل الياسري

متابعة وتنفيذ

الشيخ حسن علي الجوادي

سكرتير التحرير

الشيخ حسين مناحي

المساهمون

الشيخ بدر العلي- موفق هاشم- مهند السهلاني

التدقيق اللغوي

مصطفى كامل محمود - عمار كريم السلامي

التصميم والإخراج الفني

علاء سعيد الأسدي

المحتويات

١٠ القرآن وأسراره الغامضة
الشريف المرتضى علم الهدى

١٣ اصطفاء آدم ونوح
آية الله العظمى السيّد عبد الأعلى السبزواريّ

١٦ من هم اليتامى
العلامة الشيخ محمّد جواد البلاغيّ

٢٠ قصة النبي شعيب
الشيخ العلامة محمد جواد مغنية

٢٦ الاستدلال على صحّة الرجعة...
الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي

٣٢ من مقدمات أصول الدين
آية الله العظمى الشيخ وحيد الخراسانيّ

٣٥ عرض الدين في العصر الراهن
الشيخ لطف الله الكلبايكاني

٣٩ تفسير أسماء الله الحسنى
الشيخ تقي الدين الكفعمي

٤١ علم الرجال بالنسبة للفقيه
المقرّر السيّد محمّد علي الربانيّ

٤٨ الأصل والأصول الأربعمائة
العلامة الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ

٥٣ معنى حديث الأربعين
الشيخ بهاء الدين العاملي

٥٥ إكثار أو تحديد الانجاب؟
آية الله السيّد محمّد رضا السيستانيّ

٥٩ في ذكر الهجرة إلى الحبشة...
أمين الإسلام الشيخ الطبرسي

٦٢ نهاية المطاف
الشيخ راضي آل ياسين

٦٨ تخطيط الثورة
الشيخ باقر شريف القرشي

حق المؤمن على أخيه
الثقة الجليل حسين بن سعيد الكوفي ٧٥

علاج الوسواس
المولى محمد مهدي النراقي ٧٩

الافتخار بالنسب
الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء ٨٢

محاولة الاستعمار في العصر الحديث
آية الله العظمى السيّدمحمّدسعيد الحكيم ٨٥

الصراع الثقافي
آية الله السيّد محمّد باقر السيستانيّ ٨٨

هي الطفوف
السيد أحمد خان ٩٤

حق الجوارح
الإمام علي بن الحسين عليه السلام ٩٦

الورقة الأولى

العلم حقٌّ يعلو ولا يُعلى عليه شيء، ومهما أعطيناه من جهدنا وطاقتنا وسهرت عيوننا في طلبه فلن نحصل إلّا على ما بذلنا فيه من جهد.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»[1] ويقول الإمام علي عليه السلام: «علمني رسول الله من العلم ألف باب يفتح لي من كل باب من العلم ألف باب»[2].. فإذن هو بحار لا يُعرف قاعها، ولا يمكن حدها، ولا الوقوف على شواطئها إلّا مَن كان يستحقيه من أهله وهم محمّد وآل محمّد عليهم السلام ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٥).

وها هو باب مدينة العلم أمير المؤمنين عليه السلام يصف لنا العلم وما يتميز به حامله وطالبه في كتاب (تحف العقول) قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ اعْلَمُوا أَنَّ كَمَالَ الدِّينِ طَلَبُ العِلْمِ وَ العَمَلُ بِهِ، وَأَنَّ طَلَبَ العِلْمِ أَوْجَبُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِ المَالِ، إِنَّ المَالَ مَقْسُومٌ بَيْنَكُمْ مَضْمُونٌ لَكُمْ قَدْ قَسَمَهُ عَادِلٌ بَيْنَكُمْ وَضَمِنَهُ سَيَفِي لَكُمْ بِهِ، وَالعِلْمَ مَخْزُونٌ عَلَيْكُمْ عِنْدَ أَهْلِهِ قَدْ أُمِرْتُمْ بِطَلَبِهِ مِنْهُمْ فَاطْلُبُوهُ».

وعَنِ ابْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام:

(١) أسد الغابة: ج٤، ص٦٣٠.
(٢) مناقب ابن المغازلي: ص٨.

«تَعَلَّمُوا العِلْمَ فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ حَسَنَةٌ وَمُدَارَسَتَهُ تَسْبِيحٌ وَالبَحْثَ عَنْهُ جِهَادٌ وَتَعْلِيمَهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ وَهُوَ أَنِيسٌ فِي الوَحْشَةِ وَصَاحِبٌ فِي الوَحْدَةِ وَسِلَاحٌ عَلَى الأَعْدَاءِ وَزَيْنُ الأَخِلَّاءِ يَرْفَعُ اللهُ بِهِ أَقْوَاماً يَجْعَلُهُمْ فِي الخَيْرِ أَئِمَّةً يُقْتَدَى بِهِمْ تُرْمَقُ أَعْمَالُهُمْ وَتُقْتَبَسُ آثَارُهُمْ- تَرْغَبُ المَلَائِكَةُ فِي خُلَّتِهِمْ يَمْسَحُونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ فِي صَلَاتِهِمْ لِأَنَّ العِلْمَ حَيَاةُ القُلُوبِ وَنُورُ الأَبْصَارِ مِنَ العَمَى وَقُوَّةُ الأَبْدَانِ مِنَ الضَّعْفِ وَيُنْزِلُ اللهُ حَامِلَهُ مَنَازِلَ الأَبْرَارِ وَيَمْنَحُهُ مُجَالَسَةَ الأَخْيَارِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ بِالعِلْمِ يُطَاعُ اللهُ وَيُعْبَدُ وَبِالعِلْمِ يُعْرَفُ اللهُ وَيُوَحَّدُ وَبِالعِلْمِ تُوصَلُ الأَرْحَامُ وَبِهِ يُعْرَفُ الحَلَالُ وَالحَرَامُ وَالعِلْمُ إِمَامُ العَقْلِ وَالعَقْلُ تَابِعُهُ يُلْهِمُهُ اللهُ السُّعَدَاءَ وَيَحْرِمُهُ الأَشْقِيَاءَ»[(١)].

وهذه المراتب والمنازل التي يكون مفتاحها (العلم) لا حرمنا الله تعالى إلهامه، وقد اقتبسنا لكم في هذا العدد السادس عشر من مصادر تنهل من البحار الزاخرة والكلمات الفاخرة عن أهل البيت عليهم السلام منها في القرآن الكريم تفسيراً وتحليلاً، ومنها في الفكر والعقيدة رداً وإشكالاً، ومنها في العلوم فقهاً وأصولاً ودراية، ومنها في التأريخ ماضياً وحاضراً، ومنها في الاجتماع أخلاقاً وعادات، ومنها في الثقافة أدباً وشعراً ونثراً.

---

(١) الأمالي للصدوق.

اوراق قرآنية

القرآن وأسراره الغامضة

الشريف المرتضى علم الهدى قدس الله سره

قال أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم بن جعفر النعماني رضي الله عنه في كتابه (تفسير القرآن) حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، قال: حدثنا أحمد بن يوسف بن يعقوب الجعفي، عن إسماعيل بن مهران، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن إسماعيل بن جابر، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام يقول: «إن الله تبارك وتعالى بعث محمّداً صلى الله عليه وآله فختم به الأنبياء فلا نبي بعده، وأنزل عليه كتاب فختم به الكتب فلا كتاب بعده. أحلّ فيه حلالاً، وحرّم فيه حراماً، فحلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فيه شرعكم، وخبر من قبلكم وبعدكم»(١).

وجعله النبيّ صلى الله عليه وآله علماً باقياً في أوصيائه، فتركهم الناس وهم الشهداء على أهل كل زمان وعدلوا عنهم، ثم قتلوهم، واتبعوا غيرهم وأخلصوا لهم الطاعة، حتى عاندوا من أظهر ولاية ولاة الأمر وطلب علومهم.

قال الله تعالى: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾(٢)، وذلك أنهم ضربوا بعض القرآن ببعض، واحتجوا بالمنسوخ وهم يظنون أنه الناسخ، واحتجوا بالمتشابه وهم يرون أنه المحكم، واحتجّوا بالخاصّ وهم يقدرون أنه العام، واحتجوا بأول الآية وتركوا السبب في تأويلها، ولم ينظروا إلى ما يفتح الكلام وإلى ما يختمه، ولم يعرفوا موارده ومصادره، إذ لم يأخذوه عن أهله، فضلوا وأضلوا.

واعلموا، رحمكم الله، أنه من لم يعرف من كتاب الله عز وجل الناسخ من المنسوخ والخاص من العام، والمحكم من المتشابه، والرخص من العزائم، والمكي والمدني. وأسباب

(١) كشف الغمة: ج٢، ص١٩٧؛ وسائل الشيعة: ج٢٧، ص٢٠٠.

(٢) سورة المائدة: ١٣.

التنزيل، والمبهم من القرآن في ألفاظه المنقطعة أو المؤلفة، وما فيه من علم القضاء والقدر، والتقديم والتأخير، والمبين والمعمّى، والظاهر والباطن، والابتداء من الانتهاء، والسؤال والجواب، والقطع والوصل، والمستثنى منه والجاري فيه، والصفة لما قبل مما يدل على ما بعد، والمؤكد منه والمفصل، وعزائمه ورخصه، ومواضع فرائضه وأحكامه، ومعنى حلاله وحرامه الذي هلك فيه الملحدون، والموصول من الألفاظ والمحمول على ما قبله وعلى ما بعده، فليس بعالم بالقرآن ولا هو من أهله. ومتى ما ادعى معرفة هذه الأقسام مدع بغير دليل فهو كاذب مرتاب، مفتر على الله الكذب ورسوله، ومأواه جهنم وبئس المصير.

أقسام القرآن

ولقد سأل أمير المؤمنين عليه السلام شيعته عن مثل هذا، فقال: «إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام، كل قسم منها شاف كاف. وهي: أمر، وزجر، وترغيب، وترهيب، وجدل، ومثل، وقصص».

وفي القرآن ناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وخاص وعام، ومقدم ومؤخر و(عزائم ورخص). وحلال وحرام، وفرائض وأحكام، ومنقطع معطوف، ومنقطع غير معطوف، وحرف مكان حرف.

ومنه ما لفظه خاص، ومنه ما لفظه عام محتمل العموم، ومنه ما لفظه واحد ومعناه جمع، (ومنه ما لفظه جمع ومعناه واحد)، ومنه ما لفظه ماض ومعناه مستقبل، ومنه ما لفظه على الخبر ومعناه حكاية عن قوم آخرين، ومنه ما هو باق محرّف عن جهته، ومنه ما هو على خلاف تنزيله، (ومنه ما تأويله في تنزيله، ومنه ما تأويله مع تنزيله، ومنه ما تأويله قبل تنزيله، ومنه ما تأويله بعد تنزيله).

ومنه آيات نصفها منسوخ ونصفها متروك على حاله، ومنه آيات مختلفة اللفظ متفقة المعنى، ومنه آيات متفقة اللفظ مختلفة المعنى، ومنه آيات فيها رخصة وإطلاق بعد العزيمة؛ لأن الله عز وجل يحب أن يؤخذ برخصه

كما يؤخذ بعزائمه، ومنه رخصة صاحبها فيها بالخيار، إن شاء أخذ بها وإن شاء تركها، ومنه رخصة ظاهرها خلاف باطنها، ما يعمل بظاهرها عند التقية ولا يعمل بباطنها مع التقية، ومنه مخاطبة لقوم والمعنى لآخرين، ومنه مخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله ومعناه واقع على أمته، ومنه لا يعرف تحريمه إلّا بتحليله، (ومنه ما تأليفه وتنزيله على غير معنى ما أنزل فيه).

ومنه رد من الله تعالى واحتجاج على جميع الملحدين والزنادقة والدهرية والثنوية والقدرية والمجبرة وعبدة الأوثان وعبدة النيران، ومنه احتجاج على النصارى في المسيح عليه السلام، ومنه الرد على اليهود، (ومنه الرد على من زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأنّ الكفر كذلك)، ومنه ردّ على من زعم أن ليس بعد الموت وقبل القيامة ثواب وعقاب.

ومنه رد على مَن أنكر فضل النبيّ صلى الله عليه وآله على جميع الخلق، ومنه رد على من أنكر الإسراء به ليلة المعراج، ومنه رد على من أثبت الرؤية، ومنه صفات الحق وأبواب معاني الإيمان، ووجوبها ووجوهه، ومنه رد على من أنكر الإيمان والكفر والشرك والظلم والضلال، ومنه رد على مَن وصف الله تعالى وحدَّه، ومنه رد على مَن أنكر الرجعة ولم يعرف تأويلها، ومنه رد على مَن زعم أن الله عز وجل لا يعلم الشيء حتى يكون، ومنه رد على من لم يعرف الفرق بين المشيئة والإرادة والقدرة في مواضع، ومنه معرفة ما خاطب الله عز وجل به الأئمة والمؤمنين.

ومنه أخبار خروج القائم منّا، ومنه ما بيّن الله تعالى فيه شرائع الإسلام، وفرائض الأحكام، والسبب في معنى بقاء الخلق ومعايشهم ووجوه ذلك، ومنه أخبار الأنبياء وشرائعهم وهلاك أممهم. ومنه ما بينها الله تعالى في مغازي النبي صلى الله عليه وآله وحروبه، وفضائل أوصيائه، وما يتعلق بذلك ويتصل به.

[رسالة المحكم والمتشابه]

اصطفاء آدم ونوح عليهما السلام

آية الله العظمى السيّد عبد الأعلى السبزواريّ

تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً ﴾.

الاصطفاء، والاختيار، والاجتباء نظائر، وأصل الكلمة من الصفاء، وهو النقاوة من الدنس والفساد، والطاء في اصطفى بدل من تاء الافتعال، مثل الاختيار

فيكون الاصطفاء هو أخذ الشيء صافيا من كلّ ما يكدّره ويختلط معه. ويختلف باختلاف الجهات التي تكون سببا للصفاء، فقد يكون الاصطفاء من حيث الاختلاف مع الغير والاندماج معه، فيكون بمعنى الاختيار للرسالة، كما في قوله تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي﴾ (سورة الأعراف:١٤٤)، أو يكون الاصطفاء للملك والسلطة، كقوله تعالى في شأن طالوت: ﴿إِنَّ الله اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ (سورة البقرة: ٢٤٧)، أو يكون باعتبار الانتساب إلى التوحيد ونبذ الأوثان، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ (سورة فاطر: ٣٢)، أو يكون الاصطفاء باعتبار صنف على آخر، كما في قوله تعالى: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ (سورة الصافات: ١٥٣). أو من حيث التخلّص من الشرك وكونه جامعا للكمالات، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ (سورة البقرة: ١٣٢)، أو باعتبار التخلّص من الشركاء في الملك، كما في المأثور: «إن أعطيتم الخمس وسهم النبيّ صلى الله عليه وآله والصفي، فأنتم آمنون»، والصفي: ما كان يأخذه النبيّ صلى الله عليه وآله ويختاره لنفسه قبل القسمة، ويقال له الصفية.

وقد تكون جهة واحدة في الاصطفاء، وربما تجتمع أكثر من جهة، كما في شأن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة البقرة: ١٣٠)، فإن اختياره كان بسبب النبوّة والملك والتقدّم في الإيمان والدعوة إليه والإخلاص لله تعالى.

وفي المقام الأنسب هو الاصطفاء للرسالة والولاية والعبوديّة المحضة، التي هي أساس الكمالات الإنسانيّة، ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿عَلَى الْعالَمِينَ﴾، فلو كان الاصطفاء بمعنى الانتخاب منهم، لكان الأنسب أن يقول: (من العالمين)، فهو نوع اختيار لهم وتقديم على العالمين باعتبار أمر خاص فوق مقام النبوة والصلاح لا يشاركهم غيرهم فيه، وهو العبوديّة والزعامة والإمامة على الناس.

وقد ذكر سبحانه وتعالى أربعة ممّن اصطفاهم على العالمين، وهم آدم، ونوح، وآل إبراهيم، وآل عمران، ولم يذكر غيرهم، لا سيما الذي بين آدم ونوح من الأنبياء والرسل والأوصياء، كهبة الله شيث وإدريس وغيرهم عليهم السلام، وهذه قرينة أخرى أيضاً على أنّ الاصطفاء فيهم خاص، كما ذكرنا.

وأوّل من ذكره سبحانه هو آدم عليه السلام، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في ما يقارب من خمسة وعشرين مورداً، وقد اعتنى به الجليل عزّ وجلّ اعتناء بليغاً باعتبار كونه أباً للبشر، وأوّل الخليقة، وأوّل خليفته في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (سورة البقرة: ٣٠)، وهو أوّل نبيّ من أنبياء الله تعالى، وأوّل من شرّع له الدين، وأوّل من اجتباه وتاب عليه، قال تعالى في شأنه: ﴿ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَهَدى﴾ (سورة طه: ١٢٢)، وهو الذي خلقه الله تعالى بيده وأمر الملائكة أن يسجدوا له، وكان من ذرّيته النبيون والمرسلون وغير ذلك من المناقب التي لم يشاركه فيها غيره، وكفى بذلك منقبة، فهو مرآة الكمالات المعنويّة الإنسانيّة المتمثّلة في شخص خليل الرحمن وحبيب الله وآدم أبيهما.

وكم أب قد علا بابن له شرف
كما علا برسول الله عدنان

وأمّا نوح: الأب الثاني للبشر، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم أكثر من أربعين مورداً، وهو أحد الأنبياء الخمسة أولي العزم، بل أوّلهم، وصاحب الكتاب والشريعة، وهو شيخ المرسلين، وممّن سلّم عليه ربّ العالمين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقِينَ ۞ وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۞ سَلامٌ عَلى نُوحٍ فِي الْعالَمِينَ﴾ (سورة الصافات: ٧٧ – ٧٩).

[مواهب الرحمن في تفسير القرآن].

مَن هُمُ اليتامى

العلامة الشيخ
محمد جواد البلاغي

﴿وابْتَلُوا اليَتامى﴾ الذين هم أموال محجوبة عن تصرفهم لصغرهم وامتحنوهم وجربوهم، بممارسة أمرهم لاستكشاف رشدهم ولياقتهم لصون أموالهم على النهج العقلائي النوعي بما يحصل به الامتحان ويتوقف عليه ولو بأن يُدفَع إلى اليتيم شيء من المال مع الاذن بالتصرف فيه والمراقبة له في تصرفاته المأذون له فيها. ولا دلالة في الابتلاء بوجه من الوجوه على أن يخلي بين اليتيم وبين المال ليتصرف فيه بلا اذن ولا مراقبة في التصرفات، بل إن تعليق الدفع على البلوغ وانس الرشد يدل على ما قلناه. وليكن هذا الابتلاء قبل البلوغ ليعطي الرشيد ماله أول بلوغه كما هو حقه فإن حصول الرشد لا يتوقف على البلوغ بل يمكن حصوله متدرجا من حين التمييز ويعرف بالامتحان والابتلاء ﴿حَتَّى إِذا بَلَغُوا النِّكاحَ﴾ أي الحالة والصفة التي قدرها الله لنوع الإنسان في تطورات نشأته ونموه وهي ان تحدث فيه مادة التناسل وهو المني بحسب نوعه ودم الحيض في رحم الأنثى فيكون بذلك صالحا للزواج مائلا اليه بحركة مادة التناسل إلى الرغبة النوعية فيه. ولحدوث تلك الحالة وتلك الصفة أمارات تدل

عليها تكون العبرة بأولها حصولاً، منها هيجان تلك المادة وخروج المني ماء الشهوة المعروف بأحد المحركات كالجماع ونحوه أو بتخيله في النوم وهو الاحتلام، ولأن الغالب تقدم الاحتلام على الجماع ونحوه جعل القرآن الكريم بلوغه هو العنوان في قوله تعالى في سورة النور(٥٨، ٥٩): ﴿الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾، ﴿وإِذا بَلَغَ الأَطْفالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ﴾. وربما يتأخر المحرك لخروج المني فتكون العبرة في الأنثى بخروج دم الحيض منها، وإذا تأخر ذلك كان حملها كاشفاً عن بلوغها، وإذا تأخر ظهور هذه الأمارات أخذ بالسن وهو في الذكر إكمال خمس عشرة سنة هلالية على المشهور عندنا، بل هو اجماع إذ لم يعهد البقاء على الخلاف إلّا من ابن الجنيد، ولو لم يكن اجماعاً فهو شهرة تعضد ما توافقه من الحديث وتوهن ما تخالفه، وعلى المشهور معتبرة العبدي بالحسن بن محبوب وروايات الكناسي عن الباقر(عليه السلام) وصحيحا ابن وهب عن الصادق(عليه السلام) ونحوهما وروايات الخصال في مرسلة ابن عامر عن الصادق، والروايات المعارضة ان لم تقبل التأويل بإمكان ان تظهر الأمارات المذكورة قبل الخمس عشرة سنة فهي مطرحة لمخالفتها المشهور واعراض القدماء عنها. وفي الأنثى إكمال تسع سنين بإجماعنا وما أشرنا اليه من رواية العبدي: ومن علامات البلوغ نبات الشعر الخشن على العانة دون الزغب وعليه علماؤنا وهو المحكي عن مالك واحمد والشافعي في أحد قوليه وفي القول الآخر خصه بالكفار وعن أبي حنيفة انه لا يعتد بذلك، والحجة عليه أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أمر بالاعتبار به في أمر بني قريضة كما هو مروي من طرق الجمهور في الصحيح عندهم كما في مسند أحمد وصحيح ابن حبان وجامع عبد الرزاق عن عطية القرضي. ومن طرقنا رواية أبي البختري عن الصادق(عليه السلام) عن الباقر(عليه السلام) كما تدل عليه روايتا العبدي والكناسي عن الباقر(عليه السلام) وذكرت فيهما اللحية للغلام أيضاً. وهناك أمارات أخر كتغير الصوت

وتورم الثديين وانفراج أرنبة الأنف ولكن التدرج في حدوثها قد يسبق البلوغ فلذا لم تعد من الأمارات المعول عليها ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ﴾ في التبيان آنستم وجدتم يقال آنست من فلان خيرا. ولعله يشير بالمثال إلى وجه الاستعمال وهو ان آنس ليس معناه ابصر وعلم كما قال بعض اللغويين بل هو مأخوذ من الانس واستعمل في وجدان ما يؤنس به ضد ما يستوحش منه، ولم يسمع في مستقيم الكلام استعماله فيما يحذر منه ﴿مِنْهُمْ رُشْداً﴾ في حفظ المال وعدم تبذيره ولعل في التنكير إشارة إلى ذلك، ولا يعتبر في ذلك الرشد في التقوى بمعنى العدالة ولم يحك القول باعتبار العدالة إلّا عن الشيخ الطوسي والشافعي لكن قال في التبيان والأولى حمله -أي الرشد- على العقل وإصلاح المال وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام أيضا، أقول وفي الفقيه عن الصادق عليه السلام في الآية إيناس الرشد حفظ المال وعن العياشي عن يونس بن يعقوب عن الصادق عليه السلام في الآية اي شيء الرشد الذي يؤنس منه؟

قال عليه السلام: **حفظ ماله** وصحيحة العيص المروية في الكافي والفقيه والتهذيب عن الصادق عليه السلام في اليتيمة متى يدفع إليها مالها؟ قال عليه السلام «**إذا علمت أنها لا تفسد ولا تضيع**».

وفي صحيحة الكافي عن هشام عن الصادق عليه السلام وان احتلم ولم يؤنس منه رشده وكان سفيها وضعيفا فليمسك عنه وليه ماله. ونحوه رواية الفقيه والتهذيب والظاهر أن السفه والضعف بمنزلة عطف التفسير لعدم الرشد.

وموثقة التهذيب عن عبد الله بن سنان عن الصادق عليه السلام في الغلام جاز امره إلّا أن يكون سفيهاً أو ضعيفاً وفسّر السفيه بالذي يشتري الدرهم بأضعافه والضعيف بالأبله.

وفي الدر المنثور اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن ابن عباس في الآية رشدا في حالهم والإصلاح في أموالهم: ومن السفه وعدم الرشد تعاطي صرف المال في الملاهي والقمار وشرب الخمر وللزنا

ونحو ذلك وقد سمعت من الحديث ان شارب الخمر سفيه ﴿ فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ وخلوا بينهم وبينها كسائر ذوي الأموال. ومدلول الآية ان الولي على أموالهم لا يدفعها إليهم حتى يأنس منهم رشداً مهما طعنوا في السن، فمن الغريب حتى في القياس والاستحسان ما عن أبي حنيفة من أنها تدفع إليهم بعد الخمس والعشرين سنة من عمرهم وان كانوا سفهاء - هذا ولما نهى الله تعالى في الآية الثانية عن بعض الأنحاء من أكل أموال اليتامى اقتضت الحكمة والرحمة ان ينهى عن سائر الأنحاء مما يغوي به الشيطان وتغري به دناءة النفس الأمارة من أكلها بالإسراف أو في سورة الحذر من أن يكبر اليتيم فيأخذ ما يجده من أمواله فيسرع المتولي عليها إلى صرفها واتلافها فقال جلت رحمته ﴿ ولا تَأْكُلُوها إِسْرافاً ﴾ والإسراف معروف ومقتضى الظاهر أن (إسرافا) نائب عن المفعول المطلق ﴿ وبِداراً أَنْ يَكْبَرُوا ﴾ البدار مصدر بادرته الشيء اي سابقته ومفعوله مصدر ان يكبروا ويكون بدارا مفعولا لأجله اي تأكلونها مسابقة منكم لكبرهم. ولا حاجة إلى تأويل الإسراف والبدار باسم الفاعل لجعلهما حالين كما في مجمع البيان والكشاف ﴿ ومَنْ كانَ غَنِيًّا ﴾ بماله لا يضايقه العمل في أموال اليتامى وإصلاحها والنظر في شؤونها ولا يزاحمه في امر معاشه وما يحتاج إليه ﴿ فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾ اي يطلب صفة العفة ويتخلق بها أو فليصر عفيفاً مثل استحجر الطين ومن العفة تركه بكرم الأخلاق والشهامة والرحمة وان لم يكن حراما كما ذكره اللغويون ويعرف من موارد الاستعمال، وسيأتي أن الأمر فيه للاستحباب أو للإرشاد إلى الخلق الحميد ﴿ ومَنْ كانَ فَقِيراً ﴾ بحيث يكون عمله في أموال اليتامى ونظره في أمرها مخلا بنظام تعيشه وكسبه لما يحتاج إليه ﴿ فَلْيَأْكُلْ ﴾ الأمر للإباحة ﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ ولا يعهد هنا معروف يحال عليه ويجعل ميزانا إلّا أجرة المثل لعمله.

[آلاء الرحمن في تفسير القرآن]

قِصة النبيّ شُعيب عليه السلام

الشيخ العلامة محمّد جواد مغنية

أولاً: مرحلة التبليغ:

قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الاعراف: ٨٥).

مرَّ نظيره في الآية ٥٩ من هذه السورة.﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وشعيب من أنبياء العرب كهود وصالح، وأهل مدين عرب، وكانوا يسكنون أرض معان من أطراف الشام.

﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

البينة كل ما يتبيّن به الحق، سواء أكان برهاناً عقلياً، أم معجزة خارقة للعادة، وليس من شك أنّ شعيباً قد جاء قومه بمعجزة تدلّ على نبوته، وإلّا كان متنبئاً، لا نبياً. ولا نصّ في القرآن يدلّ على نوع هذه المعجزة، فتعيينها بالذات كما في بعض التفاسير قول على الله بغير علم.

﴿فَأَوْفُوا الكَيْلَ والمِيزانَ ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ﴾. ويومئ هذا النص إلى أنهم كانوا يسيؤون المعاملة في البيع والشراء، وان ذلك كان فاشيا فيهم، ولذلك أمرهم بإيفاء الكيل والميزان بعد أن أمرهم بتوحيد الله، ثم أمرهم بالعدل وعدم البخس في جميع الحقوق مادية كانت كالمبيعات، أم معنوية كالعلم والأخلاق، فلا يصفون العالم بالجهل، والأمين بالخيانة.

﴿ولا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها﴾. مر تفسيره في الآية ٥٦ من هذه السورة، فقرة الله أصلح الأرض والإنسان أفسدها ﴿ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ذلك إشارة إلى الخمسة المتقدمة، وهي عبادة الله، والوفاء بالكيل والوزن وعدم البخس والإفساد.

﴿ولا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ وتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ

مَنْ آمَنَ بِهِ وتَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾. هذا بيان وتفسير لقوله: ﴿ولا تفسدوا في الأرض﴾ لأن معناه دعوا الناس وشأنهم، ولا تلقوا عليهم الشبهات، ولا تتوعدوهم وتهددوهم إن أرادوا الإيمان بالله ورسوله، ولا تمنعوا من آمن أن يقيم شعائر الدين، وتصدوه عن طريق الله القويم، وتحاولوا أن تحملوا الناس على سلوك الطريق العوجاء التي تسيرون عليها.. وأوضح تفسير لهذه الآية وأوجزه ما روي عن ابن عباس انهم كانوا يقعدون على الطريق، ويخوفون الناس أن يأتوا شعيباً، ويقولون لهم أنه كذاب، فلا يفتننكم عن دينكم.

﴿واذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾. جعلهم الله أغنياء بعد أن كانوا فقراء، وأقوياء بعد أن كانوا ضعفاء، وكثيرين بعد أن كانوا أقلاء، فوجبت عليهم الطاعة والشكر لله ﴿وانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي وإلّا أصابكم ما أصاب من أفسد الأرض مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط.

﴿وإِنْ كانَ طائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وطائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنا﴾. آمن بشعيب جماعة، وكفر به آخرون، فدعا الجميع إلى التعايش السلمي، وان تترك كل طائفة وشأنها، ولا يتعرض أحد لأحد بأذى، سواء اختار الكفر، أم الإيمان، ثم تنتظر الطائفتان إلى ان يحكم الله بينهما ﴿وهُوَ خَيْرُ الحاكِمِينَ﴾. ولا رد لهذا المنطق، وبأي شيء ترد من يقول لك: انتظر فيك حكم الله؟

ثانياً: مرحلة المواجهة مع زعماء القوم:

قال تعالى: ﴿قالَ المَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا﴾ (سورة الاعراف: ٩٠).

قدمنا ان شعيبا دعا المترفين الكافرين إلى المسالمة والتعايش مع الذين أمنوا به، وان يترك الخيار لمن يشاء أن يدخل في الدين الذي يشاء.. ولكن المترفين رفضوا دعوته، وخيروه

بين أمرين لا ثالث لهما: اما أن يخرج هو ومن آمن معه من بلدهم، وأمّا أن يعود الذين آمنوا به إلى الكفر، ويعود هو إلى موقفه السابق - قبل النبوة - لا مؤيد لدينهم ولا مفند، وبكلمة أن قولهم: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا﴾ معناه أن يرجع الوضع الذي كان قبل النبوة إلى ما كان.

﴿قالَ أَوَلَوْ كُنَّا كارِهِينَ﴾؟

هذا هو منطق المنصف المخلص، لا يحمل أحداً على ما يكره، ولا يحب أن يحمله أحد على ما لا يريد، ثم هل يكون الإيمان بالإكراه ؟ وهل يؤثر المؤمن الإقامة حقاً في الوطن على دينه وعقيدته؟

﴿قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْها﴾.

طلب المشركون من شعيب عليه السلام أن يرتد عن الإيمان إلى الشرك، فقال لهم: ان الارتداد افتراء على الله، وعاقبة الافتراء عليه تعالى وبال وعذاب، وقد أنجانا الله منه، فكيف نفتري عليه؟ أمّا أن الارتداد افتراء على الله فواضح؛ لأن معناه أنّ الشرك بالله خير وأبقى من الإيمان بوحدانيته ﴿وما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللهُ رَبُّنا﴾.

ضمير فيها يعود إلى ملة الكفر والشرك، والتعليق هنا على مشيئة الله تعليق على المحال؛ لأن الله لا يشاء الكفر والشرك، فهو تماما كقوله تعالى: ﴿ولا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ﴾.

﴿وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾

تقدم نظيره في الآية ٨٠ من سورة الأنعام.

﴿عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنا﴾. ومن توكل عليه لا يخشى التهديد والوعيد؛ لأنه على علم اليقين بأن المخلوق لا يضر ولا ينفع. ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وأَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ﴾.

بعد أن يئس شعيب منهم وتأكد من إصرارهم على الكفر التجأ إلى الله، وتضرع إليه أن يحكم ويفصل بينه وبين من كفر من قومه؛ لأنه تعالى هو مصدر القوة والعدل.

ثالثا: مرحلة المواجهة الحاسمة:

قال تعالى: ﴿وَقالَ الْمَلَأُ الَّذِين

كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾(سورة الاعراف: ٩٠).

توجه المشركون أولا إلى شعيب صاحب الدعوة يهددون ويتوعدون، ولما يئسوا منه تحولوا إلى الذين آمنوا به يحاولون فتنتهم عن دينهم، وقالوا لهم فيما قالوا: انكم لخاسرون في اتباعكم شعيبا، وهذا دأب من لا حجة له إلّا الإغواء والإضلال.

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ ﴾. هذا هو الجواب الصحيح لمن عاند وتمرد، وأبى إلّا الضلال والفساد، وتقدمت هذه الآية بالحرف ٧٨ من هذه السورة.

﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾. لقد أتى العذاب عليهم وعلى ديارهم وجميع آثارهم، حتى كأنهم لم يعرفوا هذه الحياة وتعرفهم.. وكل امرئ مجزى بما أسلف عاجلا أو آجلا. ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كانُوا هُمُ الخاسِرِينَ﴾. قال الذين أشركوا للذين آمنوا: انكم لخاسرون فكانت العاقبة خسرانهم وهلاكهم، وربح المؤمنين ونجاتهم.. والعاقل لا يقول للمترف الهناء لك، وللمستضعف الويل لك؛ لأن للدهر مخبآت ومفاجآت، والأمور بخواتيمها، وإنما كرر ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً ﴾ تأكيداً لخسرانهم وهوانهم.

﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وقالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي ونَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسى عَلى قَوْمٍ كافِرِينَ ﴾. كيف أحزن على من أهلك نفسه بنفسه مصرا على الكفر بالله وكتبه ورسله، والاستهزاء بمن آمن به واتبع صراطه القويم.

[تفسير الكاشف]

أوراق فكرية

الاستدلال على صحّة الرجعة وإمكانها ووقوعها

الشيخ محمد بن الحسن الحر العامليّ

اعلم أنّ الرجعة هنا هي الحياة بعد الموت قبل القيامة، وهو الذي يتبادر من معناها، وصرّح به العلماء هنا كما يأتي، ويفهم من مواقع استعمالها، ووقع التصريح به في أحاديثها، كما تطّلع عليه فيما بعد، وقد صرّح بذلك أيضاً علماء اللغة، قال الجوهري في (الصحاح): وفلان يؤمن بالرجعة أي بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت[1].

وقال أيضاً: الكرّ: الرجوع، يقال: كرّه وكرّ بنفسه يتعدّى ولا يتعدّى[2]. انتهى.

وقال صاحب (القاموس) أيضاً:

ويؤمن بالرجعة أي بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت[3]، انتهى.

فعلم أنّ هذا معناها الحقيقي، فلا يجوز العدول عنه في موضع لا قرينة فيه، والذي يدلّ على صحّتها وجوه اثنا عشر:

الأوّل: الدليل الذي استدلّوا به على صحّة المعاد بأنّه ممكن وقد أخبر الصادق به، فيكون حقّاً.

أمّا الأُولى فظاهرة، فإنّ ذلك قد وقع مراراً كثيرة، والوقوع دليل الإمكان.

وأمّا الثانية فمتواترة، ويأتي تحقيق الوقوع والإخبار المشار إليه إن شاء

(١) الصحاح: ج٣، ص١٢١٦ رجع.

(٢) الصحاح: ج٢، ص٨٠٥ كرر.

(٣) القاموس المحيط: ج٣، ص٣٦ رجع.

الله تعالى، وإنّه قد حصلت الحياة بعد الموت لجماعة من الرعية ومن الأنبياء والأوصياء أيضاً، بل استقامة هذا الدليل في إثبات الرجعة أوضح من استقامته في إثبات المعاد؛ لأنّ أمر المعاد أعظم، وأحواله أعجب وأغرب، ولم يقع مثله قطّ، بخلاف الرجعة، وفي الكتاب والسنّة إشارات إلى هذا الدليل، وردّ عظيم على من ينكر إحياء الموتى، واعلم أنّ هذا الدليل شامل للأدلّة الآتية أو أكثرها، فهو كالإجمال وما بعده كالتفصيل.

الثاني: الآيات الكثيرة القرآنية الدالّة على ذلك إمّا نصّاً صريحاً، أو بمعونة الأحاديث المعتمدة الواردة في تفسيرها، ويأتي جملة منها إن شاء الله تعالى.

الثالث: الأحاديث الكثيرة المتواترة عن النبي والأئمّة عليهم السلام المرويّة في الكتب المعتمدة التي هي صريحة أكثرها لا مجال إلى تأويله بوجه، فلا معنى لتأويل الباقي، ولو جاز ذلك لجاز تأويل الأحاديث كلّها، حتّى النصوص على الأئمّة عليهم السلام، فإنّ أكثرها قابل للتأويل، لكن ذلك لا يجوز للنصّ والإجماع على وجوب الحمل على الحقيقة، وعدم جواز العدول عن الظاهر ما دام ممكناً.

وإذا تأمّلت أحاديث الرجعة وجدتها لا تقصر عن أحاديث النصّ على واحد من الأئمّة عليهم السلام كالرضا عليه السلام مثلاً، وإن شئت فقابل بين النصوص الموجودة في (عيون الأخبار)، وبين ما جمعناه من أحاديث الرجعة، وارجع إلى الإنصاف، مع أنّا لا ندّعي الإحاطة بها، ولعلّ ما لم نطّلع عليه في هذا الوقت من أحاديث الرجعة أكثر ممّا اطّلعنا عليه.

وقد رأيت أيضاً أحاديث كثيرة في الرجعة غير ما جمعته في هذه الرسالة ولم أنقلها؛ لأنّ مؤلّف ذلك الكتاب غير مشهور، ولا معلوم الحال، ورأيت رسائل في الرجعة لبعض المتأخِّرين تشتمل على أحاديث غير ما أوردته، ولم أنقلها أيضاً لاشتمالها على أُمور مستبعدة ينكرها أكثر الناس في بدء الأمر، مع أنّها لا تخرج عن قدرة الله تعالى، لكنّ الإقرار بها صعب

على الناظر فيها، وتحتمل الحمل على المبالغة إذا ثبت ما يعارضها.

وفي الأحاديث التي أوردناها بل في بعضها كفاية إن شاء الله تعالى، وقد قسّمناها أقساماً كلّ قسم منها في باب، فإذا نظرت إلى مجموعها لا يبقى عندك شكّ ولا ريب وهي نصوص صريحة وأحاديث خاصّة، فهي مقدّمة على العمومات والظواهر على تقدير معارضتها، فإنّه يجب تخصيص العام والعمل بالخاصّ قطعاً، بل ليس هنا تعارض حقيقي كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

ولا ريب في بلوغ الأحاديث المذكورة حدّ التواتر المعنوي بدليل إيجابها لليقين، لكلّ من خلا قلبه من شبهة أو تقليد، وبدليل جزم العقل، وباستحالة تواطؤ جميع رواتها على الكذب، وبدليل الاستقراء والتتبّع للأخبار التي يذكرون أنّها متواترة معنىً كأخبار كرم حاتم مثلاً، فإنّا نجزم بأنّ أحاديث الرجعة أكثر منها بكثير، بل من أخبار النصوص على كلّ واحد من الأئمّة عليهم السلام كما ذكرنا.

ومن المعلوم من حال السلف عند التتبّع أنّهم كانوا يعتمدون في النصّ على تعيين الإمام على خبر واحد محفوف بقرائن قطعيّة توجب العلم من حال ناقله، وغير ذلك أو على أخبار يسيرة، فإنّ حصول اليقين غير منحصر في طريق التواتر.

وممّا يدلّ على ذلك قصّة زرارة وإرساله ولده ليأتيه بخبر النصّ على الكاظم عليه السلام، أو بخبر دعواه الإمامة وإظهاره المعجز، وأيّ نسبة لذلك إلى أحاديث الرجعة.

الرابع: إجماع جميع الشيعة الإمامية، وإطباق الطائفة الاثني عشريّة على اعتقاد صحّة الرجعة، فلا يظهر منهم مخالف يعتدّ به من العلماء السابقين ولا اللّاحقين، وقد علم دخول المعصوم في هذا الإجماع بورود الأحاديث المتواترة عن النبي والأئمّة عليهم السلام، الدالّة على اعتقادهم بصحّة الرجعة، حتّى أنّه قد ورد ذلك عن صاحب الزمان محمّد بن الحسن المهدي عليه السلام في التوقيعات الواردة عنه وغيرها، مع قلّة ما ورد عنه في

مثل ذلك بالنسبة إلى ما ورد عن آبائه عليهم السلام.

وممّن صرّح بثبوت الإجماع هنا ونقله الشيخ الجليل أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي في كتاب (مجمع البيان لعلوم القرآن) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾[1] حيث قال: استدلّ بهذه الآية على صحّة الرجعة من ذهب إلى ذلك من الإماميّة بأن قال: دخول (من) في الكلام يفيد التبعيض، فدلّ على أنّ المشار إليه في الآية يوم يُحشر فيه قوم دون قوم، وليس ذلك صفة القيامة الذي يقول الله فيه: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[2].

وقد تظاهرت الأخبار عن أئمّة الهدى من آل محمّد عليهم السلام، أنّ الله سيعيد عند قيام المهدي عليه السلام قوماً ممّن تقدّم موتهم من أوليائه وشيعته؛ ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته، ويبتهجوا بظهور دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه؛ لينتقم منهم وينالوا ما يستحقّونه من العقاب في الدنيا، من القتل على أيدي شيعته، أو الذلّ والخزي بما يرون من علوّ كلمته، ولا يشكّ عاقل أنّ هذا مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه، وقد فعل الله ذلك في الأُمم الخالية، ونطق القرآن بذلك في عدّة مواضع، مثل قصّة عُزير وغيره على ما فسّرناه في موضعه.

وصحّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «سيكون في أُمّتي كلّ ما كان في الأُمم السابقة حذو النعل بالنعل، والقذّة بالقذّة حتّى لو أنّ أحدهم دخل في جحر ضبّ لدخلتموه» على أنّ جماعة من الإمامية تأوّلوا ما ورد من الأخبار في الرجعة على رجوع الدولة والأمر والنهي، دون رجوع الأشخاص وإحياء الأموات، وأوّلوا الأحاديث الواردة في ذلك، لما ظنّوا أنّ الرجعة تنافي التكليف، وليس كذلك؛ لأنّه ليس فيها ما يلجئ إلى فعل الواجب والامتناع من القبيح.

والتكليف يصحّ معها كما يصحّ مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات

(١) سورة النمل: ٨٣.
(٢) سورة الكهف: ٤٧.

القاهرة، كفلق البحر، وقلب العصا ثعباناً وما أشبه ذلك، ولأنّ الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة فيتطرّق إليها التأويل عليها، وإنّما المعوّل في ذلك على إجماع الشيعة الإمامية وإن كانت الأخبار تؤيِّده وتعضده[1] انتهى.

ولا يخفى أنّ قوله في أوّل الكلام (من الإماميّة) ينبغي أن لا تكون (من) فيه تبعيضيّة، بل هي بيانيّة، بدلالة التصريح في آخر الكلام بالإجماع من جميع الشيعة الإماميّة، وإلا لزم تناقض الكلام ولم يعتبر من تأوّل الأخبار، إمّا لكونهم معلومي النسب فلا يقدح خلافهم في الإجماع، أو كونهم شذّاذاً لا يعتبر قولهم أصلاً، أو للعلم بدخول المعصوم في أقوال الباقين.

أو لكونهم من أهل التأويل الذين أوّلوا أكثر الشريعة، أو علماً منه بأنّهم أظهروا ذلك مراعاة للتقيّة، أو لأنّهم تأوّلوا بعض الأخبار، ولم يصرّحوا بالإنكار ونفي الرجعة؛ لأنّ أكثرها لا سبيل إلى تأويله بوجه، وقد أشار إلى ذلك بقوله: إنّ الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار، فيتطرّق لها التأويل.

ثمّ إنّ العلم بدخول المعصوم بالأحاديث الصريحة يوجب حجّية الإجماع، ونقل مثل الطبرسي حجّة في مثل هذا، وسيأتي نقله: أنّ العترة الطاهرة أجمعت عليه فكيف إذا انضمّ إليه غيره.

وقال أيضاً في (مجمع البيان): في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾[2].

روى العيّاشي عن علي بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «هم والله أهل البيت يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منّا وهو مهدي هذه الأُمّة»[3].

(١) مجمع البيان: ج٧، ص٤٣٠-٤٣١.

(٢) سورة النور: ٥٥.

(٣) هذا القسم من التفسير مفقود، عنه في مجمع البيان ٧: ٢٨٥.

قال الطبرسي: فعلى هذا يكون المراد بـ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته، وتضمّنت الآية البشارة لهم بالاستخلاف والتمكين في البلاد، وارتفاع الخوف عنهم عند قيام المهدي، ويكون المراد قوله: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أن جعل الصالح للخلافة خليفة مثل آدم وداود وسليمان عليهم السلام، وممّا يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1] و﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾[2] وغير ذلك.

قال الطبرسي: وعلى هذا إجماع العترة الطاهرة، وإجماعهم حجّة لقوله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي» وأيضاً فإنّ التمكين في الأرض على الإطلاق لم يتّفق فيما مضى، فهو مرتقب؛ لأنّ الله عزّ اسمه لا يُخلف وعده[3] (انتهى).

وهذا أوضح تصريحاً في نقل الإجماع على رجعة النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، ويظهر ذلك من ملاحظة ضمائر الجمع في الآية وفي كلام الطبرسي، ومن لفظ الاستخلاف والتمكين وزوال الخوف والعبادة، وما هو معلوم من وجوب الحمل على الحقيقة، ولو حملناه على مجرّد خروج المهدي عليه السلام لزم حمل الجميع على المجاز والتأويل البعيد من غير ضرورة ولا قرينة، ولما صدقت المشابهة بين الاستخلافين، وكيف يشبّه ملك الميّت الذي ملك وأحد من أولاد أولاده بملك سليمان؟ على أنّه لو كان مراده تمكين أهل البيت مجازاً بمعنى خروج المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف من غير رجعتهم، لما كان لتخصيص الإجماع بالعترة وجه؛ لأنّ ذلك إجماع من جميع الأُمّة وهو ظاهر.

[الايقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة]

(١) سورة البقرة: ٣٠.

(٢) سورة ص: ٢٦.

(٣) مجمع البيان: ج٧، ص٢٨٥-٢٨٦.

من مقدمات أصول الدين

آية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني

لغرض التعرّف على أصول الدين وضعت لها هذه المقدمة، وكما أنّ للنور مراتب، ونور الشمس ونور الشمع مرتبتان من حقيقة النور، فكذلك معرفة أصول الدين الإسلامي المبين لها مراتب.

وهذه المقدّمة شمعة للسالكين في هذا الطريق، لغرض المعرفة الإجمالية، لا المعرفة التفصيلية بمستوى التحقيق والتعمق.

وقد راعينا فيها أن يكون الاستدلال العقلي بالوجوه المبنية على مقدمات كانت أسهل تناولا، واستندنا في النقليات إلى كتب حديث العامة والخاصة، وكتب التاريخ المعروفة.

١ - لزوم تحصيل المعرفة:

إن احتمال وجود المبدأ والمعاد يوجب البحث والسعي لتحصيل المعرفة الدينية، فما دام الإنسان يحتمل أن لهذا العالم خالقاً عليماً حكيماً، وأنّ الموت ليس نهاية لحياة الإنسان، وأن لخالقه هدفاً من خلقه إياه، وأنه قد وضع له دستوراً إن هو لم يطبقه وقع في الشقاء الأبدي، فإن فطرته توجب عليه أن يهتم بهذا الاحتمال مهما كان ضعيفاً، لكون المحتمل أمراً عظيماً وخطيراً جداً، وتدفعه لأن

يبحث عن حقيقة الأمر ولا يهدأ ولا يستقر حتى يصل إلى نتيجة قطعية حاسمة، نفياً أو إثباتاً.

وهذا كمن احتمل وجود مواد متفجرة في بيته، أو احتمل وجود اتصال في تيار كهربائي يسبب احتراق بيته بمن فيه وما فيه، فإنه لا يستقر لحظة، بل يفحص ويبحث حتى يتيقن بعدم وجود الخطر.

٢ - حاجة الإنسان إلى الدين الحق:

الإنسان موجود مركب من بدن وروح، وعقل وهوى، وبسبب هذا التركيب تراه يفحص بفطرته عن سعادته المادية والمعنوية، ويسعى للوصول إلى الكمال المقصود من وجوده.

ومن ناحية أخرى، فإن حياة كل فرد من أفراد الإنسان لها بعدان: فردي واجتماعي، نظير أي عضو من أعضاء البدن الواحد، الذي له - مضافا إلى حياته الخاصة - تأثير وتأثر متقابل مع سائر الأعضاء.

ولأجل هذا احتاج الإنسان إلى نظام وقوانين تحقق له الحياة الطيبة، الفردية والاجتماعية، وتحقق له السعادة المادية والمعنوية.

وهذا النظام والقوانين هو الدين الحق الذي يكون الاحتياج إليه ضرورة فطرة الإنسان ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1].

ثمّ إنّ لكلّ موجود كمالاً لا يمكن الوصول إليه إلا باتباع السنة المعينة لتكامله وتربيته، وهذه قاعدة عامة لا يستثنى منها الإنسان: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[2].

٣ - أثر الدين في الحياة الشخصية:

لحياة الإنسان أصل وفروع، ومتن وهوامش، فالأصل ذات الإنسان نفسها، والفروع والهوامش متعلقاتها من المال والمقام والزوج والأولاد والأقارب.

وبسبب حب الإنسان ذاته ومتعلقاتها صارت حياته مقترنة

(١) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٢) سورة طه: الآية ٥٠.

بآفتين: الغم والحزن، والخوف والقلق، الغم والحزن لما يفقده، والخوف والقلق على ما يجده خشية من أن يفقده.

والإيمان بالله يزيل هاتين الآفتين من جذورهما، لأنّ الإيمان بالله العالم القادر الحكيم الرحيم يدفع الإنسان إلى القيام بوظائفه المقررة له، وعندما يؤدي وظائف عبوديته لربه، يعلم أن الله تعالى بعناية حكمته ورحمته سيوصله إلى ما هو خير وسعادة له، ويقيه من موجبات شره وشقائه.

بل إن الإنسان إذا وجد الحقيقة التي كل حقيقة دونها مجاز، وكل ما سواها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، لم يبق له ضالة، وبإيمانه بـ ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ الله بَاقٍ﴾[1] لا يبقى في نفسه أية جاذبية للحطام الدنيوي ليغتم من فقده، أو يستوحش من زواله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ الله ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2].

إن الذي يوجب انهيار أعصاب الإنسان في الحياة الدنيا هو الاضطرابات الحاصلة من الفرح بالظفر بالعلائق المادية، والحزن والقلق من عدم الوصول إليها.

والشيء الوحيد الذي يوفر للإنسان الأمن من طوفان الأمواج العاتية في حياته، ويرسي سفينته في مرسى الأمان، هو الإيمان بالله عز وجل: ﴿لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ الله أَلَا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[3].

[مقدمة في أصول الدين]

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٦.

(٢) سورة يونس: الآية ٦٢، ٦٣، ٦٤.

(٣) سورة الرعد: الآية ٢٨.

عَرْض الدين في العصر الراهن

آية الله العظمى الشيخ
لطف الله الصافي الكلبايكاني

في عصرنا الحاضر، على الجميع وخاصّة جيل الشباب والمثقّفين والجامعيّين المؤمنين الأعزّاء، أن يهتمّوا بمسألة عرض الدين على علماء الدين الذين عرفوا الدين من القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت عليهم السلام فقط؛ إذ إنّ يد التحريف والتأويل والتصرّف واتّباع الاستحسان والسليقة الشخصية، قد امتدّت إلى العقائد والتعاليم الإسلامية من قبل بعض الأشخاص، ولأسباب عديدة منها: التأثّر بالحضارة الغربية، وأنَّ بعض فاقدي الأهلية والصلاحية قد نصبوا أنفسهم خطباء للدّين، فتراهم يعقدون جلسات الحوار والمناقشة، ويخطبون ويكتبون المقالات الدينية الّتي تستهدف الإسلام والتزام الناس بالعقائد والأحكام الشرعية، ويوحون للناس بأنّ التقيّد بالأحكام الشرعية ومداليل الكتاب والسنّة، بعيدٌ عن الانفتاح الفكري والحضاري، ويحاولون تخطئة ما تلقّاه كبار العلماء والفقهاء على امتداد القرون المتمادية، معتقدين بأنّ الكثير من الأحكام الإلهية لا تناسب المزاج العصري الّذي أسّسه الغرب أو الشرق، متوسّلين ببعض المصطلحات الرنّانة

مثل (الفقه المنفتح) أو (انقباض وانبساط الشريعة) لاتّهام بعض الأحكام وتعطيل خاتمية وأبديّة المنهج الشرعي ونظام الجزاء والقوانين الاجتماعية الإسلامية وغيرها.

وقد تدخَّل هؤلاء حتى في العقائد وعرّفوا الكتاب والسنّة باصطلاحات عرفانية، وبذلك يكونون قد سلكوا طريقاً إذا استمرّوا به لم يؤدِّ إلّا إلى تضعيف الالتزام الديني عند الكثير من الناس، لقد كان عمل الأنبياء المهمّ والعظيم هو هداية الناس إلى المنهج الّذي أُمروا بتبليغه من قبل الله، وحثّهم على العمل بهذا المنهج والالتزام الوجداني به، هذا العمل الجبّار الذي عجز عن مثله كلُّ الفلاسفة وكلّ أدعياء الفكر والثقافة الحديثة، وما زالوا عاجزين.

إنَّ هؤلاء الأشخاص الذين يدّعون الثقافة والفكر، أينما وجدوا، فإنّهم حاولوا إضعاف الإيمان ومواجهته، ويفتخرون بأنّهم يستطيعون أن يخدشوا المعتقدات والمسلَّمات الإسلامية وأن يقلّلوا من تمسّك الناس والتزامهم بدينهم، ويفسّرون الدين بما تشتهيه أذواقهم المتأثّرة بالثقافات الأجنبية وأحوال وأوضاع الغرب، وينكرون أو يشكّكون في الأصالة الفكرية الإسلامية، وللأسف الشديد، فإنّ بعض هذه الأحابيل قد أثّرت في بعض طبقات المجتمع الإسلامي برجاله، ونسائه خاصّة، وأنّها منمَّقة ومطليّة بطلاء التجديد الديني والرجوع إلى الذات ممّا أدّى إلى إدخال الوسوسة في بعض المسائل الدينية المسلّمة، والالتزامات الإسلامية عند البعض.

ولا يخفى أنّ مثل هذه المخالفات والمواجهات للشرع الحنيف يكون لها صدىً إعلامي، ومن هنا تجد أنّ أبطال مثل هذه الاتّجاهات هم من عشّاق الشهرة والصيت الذائع الذين يحاولون الظهور على ساحة المجتمع بأيِّ ثمن حتّى لو كان إنكار المسلَّمات الدينية والمقدّسة عند المسلمين، فهؤلاء عاجزون تماماً عن شقّ طريق الوجاهة والرفعة، لخوائهم وضعفهم وعدم أهليّتهم، فيتشبّثون بمثل

هذه الأُطروحات الهزيلة لكسب السمعة والشهرة، وهم يعرفون تماماً أنّهم كلّما ازدادوا في هتك الحرمات وإثارة الشبهات وإهانة المقدّسات وإنكار القيم الاجتماعية، ازدادت شهرتهم، وهذا ما يطمحون إليه، ولا شكّ في أنّ هؤلاء سيكون لهم أتباع ومروّجون ممّن تتعارض مصالحهم الشخصية وأهواؤهم وأمزجتهم مع تلك المسلّمات العقائدية والدينية.

فالكثير من المتأثّرين بالغرب ومن يتصوّرون أنّهم من المجدّدين، يعتبرون أنّ الكاتب والخطيب المتحرّر المثقّف هو الأكثر جرأةً على محاربة المقدّسات والمسلّمات الإسلامية والاستهزاء بها.

ومن ثَمَّ تجد أنّ كتاب المرتدّ سلمان رشدي، والّذي كان عارياً عن أيِّ استدلال منطقيّ وتوجيه معقول، والخالي من أيِّ ردٍّ فكريّ وجيه، قد عدَّته بعض المحافل الّتي لا ترى للحرّيّة حدّاً، من الكتب الفكريّة المتحرّرة المنفتحة، كلّ ذلك لأنّ ما ورد في الكتاب هو أعلى ما يمكن من درجات الإهانة والجرأة على الشخصيات المقدّسة عند المسلمين بل عند كلّ العالم، فصار رشدي وكتابه مشهوراً عن طريق هتك القداسة وإهانة العصمة والطهارة، ولذا فقد قامت القوى الاستعمارية التي رقصت على أنغام هذه السمفونية، قامت بحماية هذا المرتدّ والدفاع عنه، مع أنّ الكتاب فاقدٌ للمحتوى الفكريّ المنطقيّ المستدلّ، ولذا، فإنّ شبابنا إذا ما أرادوا الأمان من شرِّ إضلال مثل هؤلاء المجدّدين الصوريّين، وأن يتعلّموا الدين الإسلامي الصحيح والمنزّه وكما أُنزل على قلب النبيّ الأكرمﷺ، وأخذه من مصادره الأصيلة النقيّة، عليهم أن يراجعوا بأنفسهم تلك المصادر، وأن يعتبروا الكتاب والسنّة الخاليين من التأويل والتوجيه، حجّة دامغة، أو أن يرجعوا إلى حَمَلَة الإسلام، أي أُولئك الذين أخذوا الدين من مكتب أهل البيتعليهم السلام، والذين غاصوا في بحار هذين المصدرين وسبروها، فإنّ هؤلاء معروفون عند الجميع، أمثال أبي ذرّ والمقداد وسلمان وسُليم ومحمد بن مسلم وابن أبي

عُمير والفضل بن شاذان وابن بابويه والكليني والشيخ الطوسي وتلامذتهم وتلامذة تلامذتهم إلى يومنا هذا، من العلماء والفقهاء والمراجع الكرام.

فكلّ المطَّلعين المنصفين يعرفون تماماً أنّ أمثال هؤلاء الأفذاذ من العلماء هم المنفردون من سائر أقرانهم من أرباب العلوم العقلية والمشهورون من المتبحّرين في العلوم الإسلامية، في حفظ الإسلام وصيانته، فكان لهم الدور الأساسي في تبليغ الدين للأجيال اللاحقة، والمناهج الأُخرى كالفلسفة والعرفان الاصطلاحي لم يكن لها مثل هذا الاهتمام وَلم تسْعَ لتحقيق هذا الهدف.

ولا شكّ في أنّه لو خُلّي الأمر بين المسلمين وبين أمثال علاء الدولة السمناني وبين بايزيد وأبي سعيد وصوفية الهند وإيران والخانقاهات الكئيبة، كان الشيء الوحيد الّذي يفتقده المسلمون اليوم هو (الإسلام) وكلّ ما كان موجوداً حينها، يعجز عن إدارة الدين والدنيا، فمثل (ابن الفارض والسهروردي وابن العربي)، لم يكن لهم دورٌ في هذا المجال، وما قام به السيّد الميرداماد عليه الرحمة من خدمات في حفظ الدين وصيانة آثار أهل البيت عليهم السلام، لا يمكن حسابه في خانة تجرّه في الفلسفة وما قال هو عنه في مشاركته فلاسفة اليونان فيه، ومع أنّه رحمه الله قد استعان فلسفة في بعض آرائه ونظراته في بعض المسائل الإسلامية، لكن خدماته وخدمات أمثاله للإسلام، كانت نتيجة تخصُّصه في مجالات العلوم الإسلامية والمعارف القرآنية وآثار أهل البيت عليهم السلام لا غير، وعلى أيِّ حال، في مسألة (عرض الدين) وتحصيل الاطمئنان بمطابقة دين الشخص مع الدين الذي جاء عن النبيّ والأئمّة الأطهار عليهم السلام وأنّه دين الله، يكون المعيار والمناط الوحيد هو الوحي الإلهي وكلمات أهل البيت عليهم السلام.

وبمقتضى: «هَـذَا الْعِلْمُ دينٌ فَانظُروا عَمَّنْ تأخُذُونَ دينكُمْ»، لابدّ من أخذ دين الله وعلم الدين من أهله وفي كلّ المجالات.

[موقع المكتب الرسمي]

تفسير أسماء الله الحسنى

الشيخ تقي الدين الكفعمي

القُدُّوس

فُعُّول من القدس وهو الطهارة، فالقدّوس: الطاهر من العيوب المنزّه عن الأضداد والأنداد، والتقديس: التطهير، وقوله تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ﴾[1] أي: ننسبك إلى الطهارة.

وسمّي بيت المقدس بذلك؛ لأنه المكان الذي يتطهر فيه من الذنوب. وقيل للجنة: حظيرة القدس؛ لأنها موضع الطهارة من الأدناس والآفات التي تكون في الدنيا.

السلام

معناه ذو السلامة، أي: سلم في ذاته عن كل عيب، وفي صفاته عن كل نقص وآفة تلحق المخلوقين، والسلام مصدر وصف به تعالى للمبالغة. وقيل: معناه المسلم؛ لأن السلامة تنال من قبله.

وقوله: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾[2] يجوز أن تكون مضافة إليه تعالى، ويجوز أن يكون تعالى قد سمّى الجنة سلاماً، لأنّ الصائر إليها يسلم من كلّ آفة.

[المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى]

(١) سورة البقرة: ٣٠.

(٢) سورة الأنعام: ١٢٧.

اوراق علمية

علم الرجال بالنسبة للفقيه

المقرّر: السيّد محمّد علي الربانيّ

إن من يكون بصدد التفقه لابدّ له من إمكان نسبة الرواية الموجود في الكتب الأربعة وغيرها إلى المعصوم، وقيام الحجة على صدورها من المعصوم متوقف بحسب الموازين العادية على معرفة الوسائط، وهذا يعبر عنه بعلم الرجال، سواء قلنا بحجية خبر الثقة أم الخبر الموثوق به، فعلى القول بحجية خبر الثقة يكون الاحتياج إلى علم الرجال في غاية الوضوح، وأما على القول بحجية الخبر الموثوق به فإنه وإن لم يكن مجرد وثاقة الوسائط موجباً للحجية إلّا أن لوثاقة الوسائط دوراً في حجية الخبر، فإن أموراً كثيرة دخيلة في حجية الخبر على هذا القول، كعمل القدماء، وملاحظة المتن ومقارنته بسائر الروايات المسلمة، ووثاقة الوسائط، إلى غير ذلك.

فلا اشكال في أن لحصول الاطمئنان والوثوق نحتاج إلى وثاقة الوسائط، وأمّا على القول بعدم حجية الاخبار من باب حجية خبر الثقة ولا الموثوق به وهذا قلَّ مَن قال به وإنما يكون الاخبار حجة من أنها موجبة للظن النوعي، والظن حجة من جهة الانسداد، فنحتاج إلى علم الرجال أيضاً من باب حصول الظن، فإن الظن لا يحصل من كل خبر، بل وثاقة الراوي وعدمها دخيلة في حصول الظن

وعدمه، وهذه المسالك هي عمدة المسالك والأقوال في حجية الخبر.

فظهر أنه على هذه المسالك لا مناص من معرفة الرجال الوسطاء.

وأمّا القول بأن الخبر الضعيف ينجبر بعمل المشهور، والخبر الصحيح إذا أعرض عنه المشهور لا يعمل به على فرض صحته فلا يكون موجباً للاستغناء عن علم الرجال، فإنه لم يتضح أنّ المشهور عمل أو أعرض في بعض الاخبار، ففي كثير من الموارد لا يكون الاعراض أو العمل ثابتاً بنحو يوجب الاطمئنان، مضافاً إلى أنا ذكرنا مراراً أنّ عمل المشهور واعراضهم إنما يكون مرشداً ومنبهاً على أن هنا جهة توجب الصحة أو توجب وهن الرواية، فلا بدّ من إعمال دقة أكثر لمعرفة تلك الجهة، لا أن يكون اعراضهم أو عملهم موجباً لحجية الخبر أو عدم حجيته.

مضافاً إلى أن علم الرجال كما هو يشتمل على الجرح والتعديل فهو يشتمل أيضاً على تمييز المشتركات، فربما يكون الراوي مشتركاً بين شخصين أو أكثر، فلا بدّ من تمييزه، وقد تكون الواسطة ساقطة ولا يمكن معرفتها إلّا بمعرفة الطبقات، كما أن معرفة الطبقات قد تكون دخيلة لتمييز المشتركات.

والحاصل: أن علم الرجال بما له من الدور المهم هو دخيل في التفقه.

ثم إنه قد يقال بصحة بعض الكتب وانها معتمدة من حيث السند، وعليه فلا نحتاج إلى علم الرجال بالنسبة إليها، وهذا ما قيل في حق كتاب الكافي، وأن الروايات الموجودة فيه معتبرة إما قطعاً وإما اطمئناناً، ومن القائلين بذلك المحدث النوري في الفائدة الرابعة من المستدرك[1] والمحقّق النائينيّ حيث اعتبر أنّ الخدشة في أسانيد الكافي من دأب العجزة.

وقال بعض باعتبار ما في الفقيه، وذلك من جهة أن الصدوق ذكر أنه لا يذكر إلّا ما يحكم بصحته ويكون حجة بينه وبين ربه، كما قال بعض

(١) خاتمة المستدرك: ج١، ص٣٧ـ٤٢.

باعتبار مراسيل الصدوق إما مطلقاً أو في ما إذا كان بعنوان (قال) لا بعنوان (روي).

وقال بعض باعتبار ما في التهذيبين، فقد قال صاحب الوسائل: «كل حديث عمل به هو محفوف بقرائن تفيد العلم أو توجب العمل»[١]، وقال في سياق تفصيله القرائن الدالة على ثبوت الخبر: «كون الحديث موجوداً في الكتب الأربعة ونحوها من الكتب المتواترة»[٢].

ويظهر من هذه العبارة أنه يقول بصحة ما في الكتب الأربعة، بل غيرها أيضاً من الكتب المتواترة. فعلى هذه الأقوال لا حاجة إلى علم الرجال.

إلّا أنّ هذه الأقوال كلها غير تامة، ولا بدّ من معرفة الوسائط سواء كانت الرواية في الكافي أم في الفقيه أم في التهذيبين، أم في جميعها، فقد ذكر ذلك صاحب الحدائق الذي هو من أكابر الإخباريين في مواضع متعددة، منها ما قاله رداً على صاحب المدارك: «مع الإغماض عن الطعن في ذلك بمخالفة مصنفه هذه القاعدة في مواضع عديدة من كتابه كما لا يخفى»[٣].

ومراده من القاعدة ما ذكره في أول كتابه من أنه لا يذكر إلّا ما يكون حجة بينه وبين ربه وما يحكم بصحته، فلا يمكن الاعتماد على ما وعد به في أول الكتاب، ولعل ما ذكره المفيد في المسائل الرسية، من أنّ الصدوق لم يلتزم بصحة جميع ما رواه، كان بسبب ما رأى من نقله روايات ضعيفة، وعلم أنه رجع عما ذكره أولاً، هذا بالنسبة إلى كتاب الفقيه.

وأما الامر بالنسبة إلى التهذيبين فهو أوضح وأسهل، ومع قطع النظر عن عدم تمامية هذه الأقوال، فإن علم الرجال محتاج إليه حتى على هذه الأقوال، فإنه على القول بالترجيح عند التعارض نحتاج إلى علم الرجال في الترجيح السندي.

وربما قال بعدم الاحتياج إلى علم الرجال ومزاولة هذا العلم، وذلك لإمكان الرجوع إلى بعض علماء

(١) وسائل الشيعة: ج٣٠، ص١٩٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج٣٠، ص٢٤٤.

(٣) الحدائق الناضرة: ج٥، ص٦٥.

الرجال إذا علم أنه أعلم من غيره.

وهنالك شواهد على رجوع الفقهاء إلى علماء الرجال وشواهد على الاعتماد على قول الغير، فمن باب أن الغير من أهل الخبرة، ويجوز الاعتماد على قول من هو من أهل الخبرة فيما إذا لم يعلم بمخالفة غيره معه، أو كان هو أعلم من غيره، ويمكن بذلك تصحيح عمل من يعتمد على قول الرجالي.

والشاهد على اعتماد الفقهاء على أقوال الرجاليين بعض عبائر الصدوق، مثل ما في العيون: «كان شيخنا محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد رضي الله عنه سيئ الرأي في محمد بن عبد الله المسمعي راوي الحديث وانما اخرجت هذا الخبر في هذا الكتاب لأنه كان في كتاب الرحمة، وقد قرأته عليه فلم ينكره ورواه لي»[1] فنرى أنه روى هذه الرواية من جهة عدم انكار شيخه وروايته له.

ومثل ما في الفقيه: «كان لا يصححه محمد بن الحسن ويقول إنه من طريق محمد بن موسى الهمداني، وكان كذاباً غير ثقة وكل ما لم يصححه ذلك الشيخ قدس سره ولم يحكم بصحته من الأخبار فهو عندنا متروك غير صحيح»[2]، ومفهوم هذه العبارة أنه كل ما حكم بصحته يكون صحيحاً عندنا.

ومن راجع إجازات البحار يرى في كثير من إجازات المتأخرين أي بين العلامة والشهيد أن كتب الرجال مستغنى عنها، إذ ذكر العلامة ما هو صحيح من الأخبار أو ما هو ضعيف ولكن يعتمد على كلامه، ولعل هذا هو المراد من العبارة المذكورة في أول كامل الزيارات، أي: إنه بما أن الخبر ينقله من له علم بالرجال فهو في قوة تصحيح سنده، إذ لم يذكر أحد أن جعفر بن محمد بن قولويه صاحب كتاب كامل الزيارات كان رجالياً.

ومن المتأخرين من ذهب إلى جواز ذلك، ومنهم المحقق الأراكي، حيث قال: «نعم لا يبعد أن يجوز للفقيه الاعتماد على تصحيح ما صححه العالم

(١) عيون اخبار الرضا: ج١، ص٢٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٩٠-٩١.

الرجالي اذا لم يكن تصحيحه معارضاً بتضعيف غيره، إذ لاريب أن العالم بحال رجال الحديث من أهل الخبرة في ذلك، ولا ريب أيضاً في أن قول أهل الخبرة من الأمارات العقلائية التي لم يردع عنها الشارع، وهو حينئذ حجة كسائر الأمارات العقلائية، وببالي أني سألت يوماً المحقق الأستاذ الحائري فقلت له: إن حضرتك لا تحقق في أسانيد الأحاديث، فأجابني: اني اعتمد على تصحيح ما صححه المحدث النوري»[1].

ويمكن الإيراد على هذا القول بأن الرجاليين المتأخرين وان كانوا من اهل الخبرة الا انهم مختلفون، فترى أن المحدث النوري مثلاً يصحح ما لم يصححه صاحب الوسائل بأمور من قبيل أصحاب الصادق كلهم ثقات وذلك لتصحيح ابن عقدة[2]، وأن من يروي عن الأصحاب الستة ثقة، والمشايخ بلا واسطة لجعفر بن محمد بن قولويه كلهم ثقات[3]، وهذا ما فهمه من عبارة كامل الزيارات، فان فهم من هذه العبارة المشايخ بلا واسطة.

ومن الواضح أن التصحيح بهذه الوجوه مما لا يقول به البعض، فمع وجود الخلاف كيف يمكن القول بجواز الاعتماد على قول الرجالي؟ نعم لو كان الرجالي يعتمد على قوله لأنه أعلم من غيره ولم يكن علم إجمالي بالاشتباه في بعض الموارد، لم يكن مانع من الاعتماد على قوله.

ولعل اعتماد من كان يعتمد على قول الآخرين إما من باب أعلميته أو من باب حصول الاطمئنان.

وهل يضر مثل هذا الاعتماد بالتفقه أو لا ؟ الظاهر أنه لا يضر، وانما يضر فيما إذا اعتمد على الغير في رواية الحديث.

وسيأتي هذا البحث في المسائل التي يجوز التقليد فيها، وفي تلك المسائل لبعض الأكابر عبارة يظهر

(١) ملاحظات الفريد على فوائد الوحيد: ص٢١٩-٢٢٠.
(٢) خاتمة المستدرك: ج١، ص٤٤.
(٣) خاتمة المستدرك: ج١، ص٧١.

منها المناقشة في تقليد الغير، فقد قال السيد الخوئي بعد ذكر العلوم الأدبية وعلم الرجال: «الصحيح عدم جريان التقليد في تلك الأمور وذلك لأن مشروعية التقليد انما ثبتت بالسيرة والكتاب والسنة ولا يشمل شيء منها للمقام، إلى أن قال: وأما السيرة العقلائية فلأنها وإن جرت على رجوع الجاهل إلى العالم، ورجوع المجتهد إلى العالم بتلك القواعد أيضاً من رجوع الجاهل إلى العالم، إلّا أن ذلك - على اطلاقه - ليس مورداً للسيرة أبداً، لاختصاصها بالمسائل النظرية المحتاجة إلى التدقيق والاستدلال كما في الطبابة والهندسة وغيرهما، وأما الأمور الحسية التي لا يحتاج فيها إلى الدقة والاستنباط فلم تقم فيها السيرة على رجوع الجاهل إلى العالم، وهذا كموت زيد وولادة ابنه ونحوهما فانه إذا علم بها أحد باجتهاده وحدسه لم يكن أي مجوز لتقليده؛ لأنهما أمران حسيان لا يحتاجان إلى الاستنباط والاجتهاد، ولا سيرة على رجوع الجاهل إلى العالم في مثلهما، ومبادئ الاستنباط من هذا القبيل، لأن القواعد الأدبية راجعة إلى اثبات الظهور، وهو من الأمور الحسية فإذا بنى اللغوي أو غيره على أن اللفظة المعينة ظاهرة في معنى كذا بحدسه واجتهاده لم يجز اتباعه فيه؛ لأنه لا دليل على مشروعية التقليد في الامور الحسية، ومن هنا قلنا - في محله - أن اللغوي لا دليل على حجية قوله ونظره، وكذلك الحال بالنسبة إلى علم الرجال؛ لأن العدالة والوثاقة من الامور المحسوسة والاخبار عنها حدسا ليس بمورد للتقليد أبدا»[1].

ويمكن أن يقال في مقام الجواب عنه: إن عدَّ جميع المبادئ من الأمور الحسية ليس بصحيح، ونوضح ذلك في ما يتعلق بعلم الرجال فقط باعتبار أن كلامنا هنا فيه، فنقول: إن علم الرجال بالنسبة إلى المتأخرين بل بالنسبة إلى المتقدمين أيضاً من أدق العلوم، وجرح وتعديل الراوي مبتن على إعمال نظر ودقة، ومن لم يكن

(١) كتاب الاجتهاد والتقليد (للسيد الخوئي): ٤١٣-٤١٥.

خبيراً بعلم الرجال لا يمكنه الجرح أو التعديل بمجرد رؤيته في كتاب أنه ثقة أو ليس بثقة، والشواهد التي يستدل بها على وثاقة شخص أو عدم وثاقته، إما هي الروايات أو غيرها، فإن كانت من الروايات فلا بد من ملاحظة سندها، ووجود المعارض وعدمه، واستفادة الوثاقة أو عدمها منها.

وإن كانت من غير الروايات فكثير من الشواهد وقعت مورداً للكلام نفياً وإثباتاً، فمثلاً كون الرجل من رواة كامل الزيارات هل هو من أمارات الوثاقة أو لا، فهذا أمر مختلف فيه، أو كون الرجل من رواة تفسير القمي، أو كثرة رواية الأجلاء عن شخص، إلى غير ذلك من الشواهد.

وهذه أبحاث دقيقة ليست بأقل من دقة الأبحاث الأصولية، وليست من الأمور المحسوسة كما قيل حتى يقال إن التقليد في ذلك من قبيل التقليد في الأمور الحسية، لمن يعمل الحدس، فلو كان هذا من الأمور الحسية فلماذا لم يعمل الرجال الحس، بل يعمل الحدس؟!

[الاجتهاد والتقليد والاحتياط:
تقريراً لبحث السيّد السيستانيّ دام ظله]

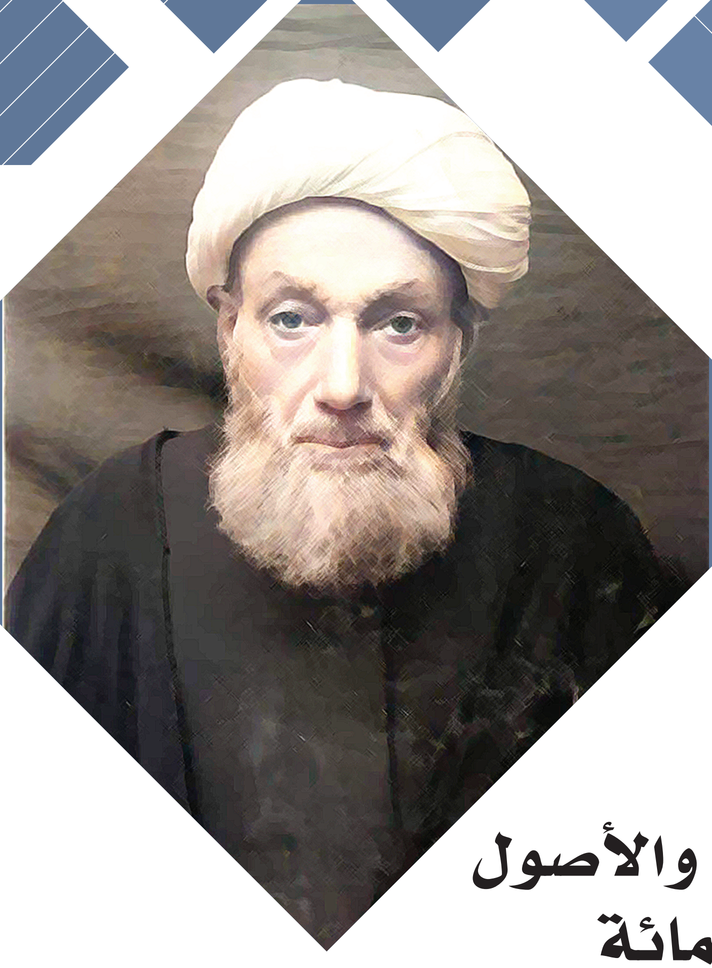

الأصل والأصول الأربعمائة

الشيخ آغا بزرك الطهراني

الأصل: هو عنوان صادق على بعض كتب الحديث خاصة. كما أن الكتاب عنوان يصدق على جميعها، فيقولون: له كتاب أصل أوله كتاب وله أصل أو قال في كتاب أصله أو له كتاب وأصل وغير ذلك واطلاق الأصل على هذا البعض ليس بجعل حادث من العلماء، بل يطلق عليه الأصل بما له من المعنى اللغوي.

ذلك لأن كتاب الحديث إن كان جميع أحاديثه سماعا من مؤلفه عن الإمام عليه السلام أو سماعا منه عن من سمع عن الإمام عليه السلام فوجود تلك الأحاديث في عالم الكتابة من صنع مؤلفها وجود أصلي بدوي ارتجالي غير متفرع من وجود آخر فيقال له الأصل لذلك، وإن كان جميع أحاديثه أو بعضها منقولاً عن كتاب آخر سابق وجوده عليه ولو كان هو أصلاً وذكر صاحبه لهذا المؤلّف أنه مروياته عن الإمام عليه السلام واذن له كتابتها وروايتها عنه لكنه لم يكتبها عن سماع الأحاديث عنه، بل عن كتابته وخطه فيكون وجود تلك الأحاديث في عالم الكتابة من صنع هذا المؤلّف فرعاً عن الوجود السابق عليه، وهذا مراد الأستاذ الوحيد البهبهاني من قوله: «الأصل هو الكتاب الذي جمع فيه مصنفه الأحاديث التي رواها عن المعصوم أو عن الراوي عنه» فالأصل من كتب الحديث هو ما كان المكتوب فيه مسموعاً لمؤلفه عن المعصوم أو عمّن سمع منه لا منقولاً عن مكتوب فإنه فرع منه، ويشير إلى اعتبار السماع كلام النعماني الآتي في أصل سليم كما أن أصل كل كتاب هو المكتوب الأولي منه الذي كتبه المؤلّف، وكل ما يستنسخ منه فهو فرع له فيطلق عليه النسخة الأصلية أو الأصل، لذلك من الواضح ان احتمال الخطأ والغلط والسهو والنسيان وغيرها في الأصل المسموع شفاها عن الامام أو عمن سمع عنه، أقل منها في الكتاب المنقول عن كتاب آخر لتطرق احتمالات زائدة في النقل عن الكتاب فالاطمئنان بصدور عين الألفاظ المندرجة في الأصول أكثر والوثوق به آكد، فإذا كان مؤلف الأصل من الرجال المعتمد عليهم الواجدين لشرائط القبول كان حديثه حجة لا محالة وموصوفاً بالصحة كما عليه بناء القدماء، ذكر الشيخ البهائي في مشرق الشمسين الأمور الموجبة لحكم القدماء بصحة الحديث وعدّ: (منها) وجود الحديث في كثير من الأصول الأربعمئة المشهورة المتداولة عندهم (ومنها) تكرّر الحديث في أصل أو أصلين منها بأسانيد مختلفة

متعددة (ومنها) وجوده في أصل رجل واحد معدود من أصحاب الاجماع. وقال المحقّق الداماد في الراشحة التاسعة والعشرين من رواشحه بعد ذكر الأصول الأربعمئة: «وليعلم أن الأخذ من الأصول المصححة المعتمدة أحد أركان تصحيح الرواية» فوجود الحديث في الأصل المعتمد عليه بمجرده كان من موجبات الحكم بالصحة عند القدماء، وأما سائر الكتب المعتمدة فإنها يحكمون بصحة ما فيها بعد دفع سائر الاحتمالات المخلة بالاطمئنان بالصدور ولا يكتفون بمجرد الوجود فيها وحسن عقيدة مؤلّفيها فالكتاب الذي هو أصل ممتاز عن غيره من الكتاب بشدة الاطمئنان بالصدور والأقربية إلى الحجية والحكم بالصحة، هذه الميزة ترشحت إلى الأصول من قبل مزية شخصية توجد في مؤلفيها، تلك هي المثابرة الأكيدة على كيفية تأليفها والتحفظ على ما لا يتحفظ عليه غيرهم من المؤلفين وبذلك صاروا ممدوحين عند الأئمة عليهم السلام كما في حديث مدح أهل البصرة بدخولهم وسماعهم وكتابتهم، ولذا نعد قول أئمة الرجال في ترجمة أحدهم أن له أصلاً من ألفاظ المدح له لكشفه عن وجود مزايا شخصية فيه من الضبط والحفظ والتحرّز عن بواعث النسيان والاشتباه والتحفّظ عن موجبات الغلط والسهو وغيرها والتهيؤ لتلقي الأحاديث بعين ما تصدر عن معادنها على ما كان عليه ديدن أصحاب الأصول كما ظهر من حديث دخول أهل البصرة الذي مرّ في مقدّمة الكتاب. وروى السيد رضي الدين علي بن طاوس في مهج الدعوات بإسناده عن أبي الوضاح محمد بن عبد الله بن زيد النهشلي عن أبيه أنه قال: «كان جماعة من أصحاب أبي الحسن الكاظم عليه السلام من أهل بيعته وشيعته يحضرون مجلسه ومعهم في أكمامهم ألواح آبنوس لطاف وأميال، فإذا نطق أبو الحسن بكلمة أو أفتى في نازلة أثبت القوم ما سمعوه منه في ذلك». وقال الشيخ البهائي في مشرق الشمسين: «قد بلغنا عن مشايخنا قدس سرهم أنه

كان من دأب أصحاب الأصول أنهم إذا سمعوا عن أحد من الأئمة عليهم السلام حديثاً بادروا إلى اثباته في أصولهم لئلا يعرض لهم نسيان لبعضه أو كله بتمادي الأيام»، وقال المحقّق الداماد في الراشحة التاسعة والعشرين من رواشحه: «يقال قد كان من دأب أصحاب الأصول أنهم إذا سمعوا من أحدهم عليهم السلام حديثاً بادروا إلى ضبطه في أصولهم من غير تأخير».

إن المزايا التي توجد في الأصول ومؤلّفيها دعت أصحابنا إلى الاهتمام التام بشأنها قراءة ورواية وحفظاً وتصحيحاً والعناية الزائدة بها وتفضيلها على غيرها من المصنّفات، يرشدنا إلى ذلك تخصيصهم الأصول بتصنيف فهرس خاص لها وأفرادهم مؤلّفها عن سائر الرواة والمصنّفين بتدوين تراجمهم مستقلة كما صنعها الشيخ أبو الحسين أحمد بن الحسين بن عبيد الله بن الغضائري المعاصر للشيخ الطوسيّ، وقد ذكره الشيخ في أول فهرسه، ثم اعتذر هناك عن جمعه في فهرسه بين أصحاب الأصول والمصنّفين مع أنّ الأولى إفرادهم بكتاب مستقل بلزوم التكرار، قال: (لأنّ في المصنفين من له أصل فيحتاج أن يذكر في كل من الكتابين) فكان الاهتمام بالأصول كذلك مستمراً إلى أن جمعت أعيان تلك الأصول بموادها مرتبة مبوبة في المجاميع القديمة فاستغنوا عن أعيانها كما سنذكره. يؤسفنا جداً أنه لم يتعين لنا عدة أصحاب الأصول المؤلفين لها تحقيقاً، بل ولا تقريباً، قال الشيخ الطوسي في أوّل الفهرس: «وإني لا أضمن الاستيفاء لان تصانيف أصحابنا وأصولهم لا تكاد تنضبط لكثرة انتشار أصحابنا في البلدان»، فإذا كان مثل شيخ الطائفة ذلك البحاثة الشهير يعترف بالعجز عن الاستيفاء فنحن أحرى بالعجز لأنه مع قرب عهده إلى أصحاب الأصول كان متمكناً من الوصول إلى تلك الأصول بعينها وهي في مكتبة سابور التي أسست للشيعة بكرخ بغداد، وكان الشيخ مقدمهم، ولم تكن في الدنيا مكتبة أحسن كتباً من تلك المكتبة كانت كلّها بخطوط

الأئمة المعتبرة وأصولهم المحرّرة كما ذكر جميع ذلك في معجم البلدان في حرف الباء في مادة (بين السورين) هذا مع تمكنه من خزانة كتب أستاذه الشريف المرتضى المشتملة على ثمانين ألف كتاب سوى ما أهدى منها إلى الرؤساء كما صرّح به كل من ترجمه، وقد أشرنا إلى العجز عن تعيين عدة أصحاب الأصول في المقدمة، نعم إن الشهرة المحقّقة تدلّنا على أنهم لم يكونوا أقل من أربعمئة رجل. قال الشيخ أمين الاسلام الطبرسي المتوفّى سنة (٥٤٨هـ) في إعلام الورى روى عن الإمام الصادق عليه السلام من مشهوري أهل العلم أربعة آلاف إنسان وصنف من جواباته في المسائل أربعمئة كتاب تسمّى الأصول رواها أصحابه وأصحاب ابنه موسى الكاظم عليه السلام.

وقال المحقّق الحلي المتوفّى سنة (٦٧٦هـ) في المعتبر كتبت من أجوبة مسائل جعفر بن محمد أربعمئة مصنف لأربعمئة مصنف سموها أصولاً. وقال شيخنا الشهيد في الذكرى: «إنه كتبت من أجوبة الإمام الصادق عليه السلام أربعمئة مصنف لأربعمئة مصنف. ودوّن من رجاله المعروفين أربعة آلاف رجل»، وقال الشيخ الحسين بن عبد الصمد في(درايته ص٤٠):«قد كتبت من أجوبة مسائل الإمام الصادق عليه السلام فقط أربعمئة مصنف لأربعمئة مصنف تسمى الأصول في أنواع العلوم». وقال المحقّق الداماد في الراشحة المذكورة آنفاً: «المشهور أن الأصول أربعمئة مصنف لأربعمئة مصنف من رجال أبي عبد الله الصادق عليه السلام، بل وفي مجالس السماع والرواية عنه ورجاله زهاء أربعة آلاف رجل وكتبهم ومصنفاتهم كثيرة إلا أن ما استقر الامر على اعتبارها.

[الذريعة إلى تصانيف الشيعة]

معنى حديث الأربعين

الشيخ بهاء الدين العاملي

عن الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من حفظ على أمّتي أربعين حديثا ممّا يحتاجون إليه في أمر دينهم بعثه الله عزّ وجلّ يوم القيامة فقيها عالما».

بيان ما لعلّه يحتاج إلى البيان في هذا الحديث:

من حفظ: الظاهر أنّ المراد الحفظ عن ظهر القلب فإنّه هو المتعارف المعهود في الصدر السالف، فإنّ مدارهم كان على النقش في الخواطر لا على الرسم في الدفاتر، حتّى منع

بعضهم عن الاحتجاج بما لم يحفظه الراوي عن ظهر القلب، وقد قيل: إنّ تدوين الحديث من المستحدثات في المائة الثانية من الهجرة.

ولا يبعد أن يراد بالحفظ الحراسة عن الاندراس بما يعم الحفظ عن ظهر القلب والكتابة والنقل بين الناس ولو من كتاب وأمثال ذلك.

وقد يقال: المراد بحفظ الحديث تحمّله على أحد الوجوه الستّة المقرّرة في الأصول، أعني السماع من الشيخ، والقراءة عليه، والسماع حال قراءة الغير، والإجازة، والمناولة، والكتابة. وبعده ظاهر.

على أمّتي: الظاهر أنّ (على) بمعنى اللام، أي حفظ لأجلهم كما قالوه في قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾[1] أي لأجل هدايته إيّاكم، ويحتمل أن يكون بمعنى (من) كما قيل في قوله تعالى: ﴿إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[2].

أربعين حديثاً: الحديث لغة يرادف الكلام، سمّي به لأنه يحدث شيئاً فشيئاً.

وفي الاصطلاح: كلام خاصّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام أو الصحابي أو التابعي ومن يحذو حذوه يحكي قولهم أو فعلهم أو تقريرهم، وبعض المحدّثين لا يطلق اسم الحديث إلّا على ما كان عن المعصوم عليه السلام.

ممّا يحتاجون إليه في أمر دينهم: أي من الأحاديث التي تدعو الحاجة الدينية إليها كالأحاديث الواردة في بعض الاعتقادات والأعمال لا الدنيوية كالأحاديث في توسعة الرزق ودفع المؤذيات مثلا إذا لم تدع إليها حاجة دينية.

وفي بعض الروايات: «فيما ينفعهم في أمر دينهم» وفي بعضها: «أربعين حديثا ينتفعون بها» من غير تقييد بأمر الدين.

[الأربعون حديثا]

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٢) سورة المطففين: الآية ٢.

إكثار أو تحديد الانجاب؟

آية الله السيّد محمّد رضا السيستانيّ

لقد تضافرت النصوص بطرق الفريقين عن النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله في الحثّ على تكثير النسل وزيادة الإنجاب، فعن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أكثروا الولد اكاثر بكم الأمم غداً»[1].

وفي خبر آخر عنه أنه قال: «تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم»[2].

وفي لفظ آخر: «فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة»[3].

وفي خبر ثالث عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «للمولود من أمتي أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس»[4].

وفي رواية أخرى قوله صلى الله عليه وآله: «الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة»[5] إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة.

ولكن يمكن أن يُقال أن الذي تقتضيه مناسبات الحكم والموضوع وهو المستفاد من بعض الروايات أنّ الشارع المقدّس لم يندب إلى الإكثار من الأولاد إلّا مقيداً بما يترقّب من ذلك من المصالح الخاصّة والعامّة.

وتتمثّل المصالح الخاصّة في كون

(١) الكافي: ج٦، ص٢.

(٢) سنن النسائي: ج٦، ص٦٦.

(٣) كنز العمال: ج١٦، ص٣٠٢.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج٣، ص٩٦.

(٥) الكافي: ج٦، ص٣.

الولد عوناً لأبويه في تحمّل أعباء الحياة، ويبقى ذكراً جميلاً لهما بعد الوفاة وينفعهما بدعائه ويلحقهما ثواب ما يأتي به من الأعمال الصالحة من الصدقة والحج.. وغيرهما.

ففي الخبر عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنه قال: «من سعادة الرجل أن يكون له وُلْدٌ يستعين بهم»[1].

وعن علي أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الولد الصالح أجمل الذِّكرين»[2].

وفي رواية عن الصادق عليه السلام أنه ذكر في عداد ما يلحق الرجل بعد موته: «الولد الصالح يدعو لوالديه بعد موتهما ويحج ويتصدّق عنهما ويعتق ويصوم ويصلي عنهما»[3].

وأمّا إذا كان الإكثار من الأولاد يُرهق الأبوين مادياً ويتسبّب لهما في المزيد من الجهد والعناء فلم يثبت كونه مندوباً عندئذٍ، وقد ورد في

(١) الكافي: ج٦، ص٢.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ١٥، ص١٤٤، ح٨.

(٣) الكافي: ج٧، ص٥٧.

بعض النصوص أنّ: «قلّة العيال أحد اليسارين»[4].

كما أنه لو كان يعرقل قيامهما برعاية الأولاد وإعطاءهم حقّهم في التربية والتعليم فليس هو ممّا ندب إليه الشارع المقدّس.

وأمّا المصالح العامّة في تكثير النسل فتتمثّل في ازدياد المسلمين عزّة ومنعة ليتوسّعوا في إعمار الأرض، ونشر كلمة الحق والدين القويم في مختلف أرجاء المعمورة، ولو لم تكن الكثرة سبيلاً لما ذُكر تكون كثرة واهية متداعية، لا تستطيع أن تقف أمام مخطّطات الأعداء ومطامعهم، ولا خير فيها عندئذٍ.

وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «يوشك الأُمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى على القصعة أكلتُها، قيل: أو من قلةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: لا، بل أنتم أكثر ولكنّكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن»[5].

(٤) نهج البلاغة: ج٤، ص٣٤.

(٥) مسند الشاميين: ج١، ص٣٤٥.

والحاصل إنّ الإكثار من الأولاد وإن كان أمراً مندوباً إليه في الشرع الحنيف، ولكن ذلك بالنظر إلى ما يُترقب منه من المصالح الخاصّة والعامّة، ويتقيد الندب إليه بحدود ذلك.

ومهما يكن فإن الملاحظ أنه لم يرد في الكتاب العزيز والسنّة المطهّرة ما يدلّ على المنع من تحديد النسل اختياراً من حيث المبدأ، ولذلك يُستغرب جداً ما ذكره بعض المحدثين من علماء الجمهور من إناطة الترخيص فيه بتحقّق الضرورة قائلاً: إنّ تحديد النسل بالنسبة إلى الأفراد يخضع لمبدأ (الضرورات تبيح المحظورات) فإذا أحاطت بفردٍ ظروف شديدة قاهرة تجعل تحديد النسل عنده أمراً لا مناص منه لدفع ضرر محقّق عن الأب أو الأم أو الولد نفسه أو الأُسرة الصغيرة هذه فإنه لا مانع من أن يمنع النسل لهذا الرجل ما دامت الأسباب قائمة، وإذا زالت الأسباب رجع الحكم إلى ما كان عليه من عدم الجواز[1].

ويلاحظ على ما ذكره أنه في غياب أي دليل واضح على حرمة تحديد النسل اختياراً من حيث المبدأ يكون مقتضى الأصل هو الحلّ، ولا ينبغي إناطة الأمر بتحقق الضرورة فإن ذلك فيما يثبت تحريمه شرعاً وليس تحديد النسل كذلك.

[وسائل المنع من الانجاب]

(١) أطفال تحت الطلب ص١٠٩ نقلاً عن الشيخ محمد علايا مفتي الجمهورية اللبنانية سابقاً.

أوراق تاريخية

في ذكر الهجرة إلى الحبشة وتصديق النجاشي النبي (صلى الله عليه وآله)

أمين الإسلام الشيخ الطبرسي

لما اشتدت قريش في أذى رسول الله ﷺ وأصحابه أمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا إلى الحبشة، وأمر جعفر أن يخرج بهم، فخرج جعفر وخرج معه سبعون رجلاً حتى ركبوا البحر، فلما بلغ قريشاً خروجهم بعثوا عمرو بن العاص السهمي وعمارة بن الوليد إلى النجاشي أن يردهم إليهم، وأن يعلماه أنهم مخالفون لهم، فخرج عمارة وكان شاباً حسن الوجه مترفاً، وأخرج عمرو بن العاص أهله، فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر، فقال عمارة لعمرو بن العاص: قل لأهلك تقبلني.

فقال: سبحان الله أيجوز هذا؟!

فتركه حتى انتشى، وكان على صدر السفينة فدفعه عمارة وألقاه في البحر، فتشبث عمرو بصدر السفينة وأدركوه فأخرجوه، فلما أن رأى عمرو ما فعل به عمارة قال لأهله: قبلية! فوردوا على النجاشي فدخلوا عليه - وقد كانوا حملوا إليه هدايا – فقال عمرو: أيها الملك إنّ قوماً منا خالفونا في ديننا وصاروا إليك فردهم إلينا.

فبعث النجاشي إلى جعفر فأحضره فقال: يا جعفر إن هؤلاء يسألونني أن

أردكم إليهم.

فقال: أيها الملك سلهم أنحن عبيد لهم؟

قال عمرو: لا، بل أحرار كرام.

قال: فسلهم ألهم علينا ديون يطالبوننا بها؟

قال: لا، ما لنا عليهم ديون.

قال: فلهم في أعناقنا دماء يطالبوننا بذحولها.

قال عمرو بن العاص: لا، ما لنا في أعناقهم دماء ولا نطالبهم بذحول.

قال: فما تريدون منا؟

قال عمرو: خالفونا في ديننا ودين آبائنا، وسبوا آلهتنا، وأفسدوا شباننا، وفرقوا جماعتنا، فردهم إلينا ليجتمع أمرنا.

فقال جعفر: أيها الملك خالفناهم لنبي بعثه الله فينا، أمرنا بخلع الأنداد، وترك الاستقسام بالأزلام، وأمرنا بالصلاة والزكاة، وحرم الظلم والجور وسفك الدماء بغير حلها، والزنا والربا والميتة والدم، وأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي.

فقال النجاشي: بهذا بعث الله عيسى بن مريم، ثم قال النجاشي: يا جعفر أتحفظ مما أنزل الله على نبيك شيئا.

قال: نعم.

قال: اقرأ.

فقرأ عليه سورة مريم عليها السلام فلما بلغ إلى قوله: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۞ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ بكى النجاشي وقال: إن هذا هو الحق.

فقال عمرو: أيها الملك إن هذا ترك ديننا فرده علينا حتى نرده إلى بلادنا، فرفع النجاشي يده فضرب بها وجهه، ثم قال: لئن ذكرته بسوء لأقتلنك.

فقال عمرو - والدماء تسيل على ثيابه -: أيها الملك إن كان هذا كما تقول فإنا لا نعرض له، فخرج من عنده.

وكانت على رأس النجاشي وصيفة له تذب عنه، فنظرت إلى عمارة بن الوليد وكان فتى جميلاً، فلما رجع عمرو بن العاص إلى منزله قال لعمارة: لو راسلت جارية الملك،

فراسلها عمارة فأجابته فقال لعمرو بن العاص: قد أجابتني.

قال: قل لها: تحمل إليك من طيب الملك شيئاً، فقال لها، فحملته إليه فأخذه عمرو بن العاص وكان الذي فعل به عمارة - حيث ألقاه في البحر - في قلبه، فادخل الطيب على النجاشي فقال: أيها الملك إن من حرمة الملك وحقه علينا وإكرامه إيانا إذا دخلنا بلاده ونأمن فيه أن لا نغشه، وإن صاحبي هذا الذي معي قد راسل حرمتك وخدعها وبعثت إليه من طيبك، فعرض عليه طيبه، فغضب النجاشي لذلك غضباً شديداً، وهم أن يقتل عمارة، ثم قال: لا يجوز قتله لأنهم دخلوا بلادي بأمان، فدعا السحرة وقال: أعملوا به شيئاً يكون عليه أشد من القتل.

فأخذوه ونفخوا في إحليله شيئاً من الزئبق فصار مع الوحش، فكان يغدو معهم ولا يأنس بالناس، فبعثت قريش بعد ذلك في طلبه، فكمنوا له في موضع فورد الماء مع الوحش فقبضوا عليه، فما زال يضطرب في أيديهم ويصيح حتى مات، فرجع عمرو إلى قريش فأخبرهم خبره، وأنه بقي جعفر بأرض الحبشة في أكرم كرامة، فما زال بها حتى بلغه أن رسول الله ﷺ قد هادن قريشاً وقد وقع بينهم صلح، فقدم بجمع من معه ووافى رسول الله ﷺ وقد فتح خيبر.

وولد لجعفر من أسماء بنت عميس بالحبشة عبد الله بن جعفر، وولد للنجاشي ابن فسماه محمداً أو سقته أسماء من لبنها.

وقال أبو طالب - يحض النجاشي على نصرة النبي ﷺ واتباعه -:

أَتعلَمُ مَلكَ الحُبشِ أَنَّ مُحَمَّداً
نَبِيٌّ كَموسى وَالمَسيحِ اِبنِ مَريَمِ

أَتى بِهُدىً مِثلَ الَّذي أَتيا بِهِ
وَكُلٌّ بِأَمرِ اللهَ يَهدي وَيَعصِمِ

وَإِنَّكُمُ تَتلونَهُ في كِتابِكُم
بِصِدقِ حَديثٍ لا بِصِدقِ التَّرَجُّمِ

فَلا تَجعَلوا للهِ نِدّاً وَأَسلِموا
وَإِنَّ طَريقَ الحَقِّ لَيسَ بِمُظلِمِ

[إعلام الورى بأعلام الهدى]

نهاية المطاف

الشيخ راضي آل ياسين

إن المعاهدة – معاهدة الصلح – بأبوابها الخمسة، لم تلق من الرجل -معاوية- أية رعاية تناسب تلك العهود والمواثيق والايمان التي قطعها على نفسه، فلا هو حين تسلم الحكم عمل على كتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين، ولا ترك الامر من بعده للشورى، أو لصاحب الحق فيه، ولا أقلع عن شتم علي عليه السلام، ولكنه زاد حتى ملأ منابر الإسلام سباباً وشتماً، ولا وفى بخراج ولا سلم من غوائله شيعة علي وأصحابه، ولكنه – وبالرغم من كل هذه الشروط والعهود – طالعهم بالأوليات البكر والأفاعيل النكر من بوائقه: فكان أول رأس يطاف به في الإسلام منهم، وبأمره يطاف به.

وكان أول انسان يدفن حياً في الإسلام منهم، وبأمره يفعل به ذلك. وكانت أول امرأة تسجن في الإسلام منهم، وهو الآمر بسجنها. وكان أول شهداء يقتلون صبراً في الإسلام منهم، وهو الذي قتلهم.

واستقصى معاوية بنود المعاهدة كلها بالخلف!

فاستقصى أيمانه المغلظة بالحنث، ومواثيقه المؤكدة التي واثق الله تعالى عليها بالنقض! فأين هي الخلافة الدينية يا ترى؟

وبقيت آخر فقرة من المعاهدة، تحاماها معاوية؛ لأنها كانت ادق شروطها حساسية وأروعها وقعاً وكان عليه اذا اساء الصنيع بهذه الفقرة ان يتحدى القرآن صراحة، ورسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة.

فصبر عليها ثماني سنين، ثم ضاق بها ذرعاً، وثارت به أمويته التي كان لا يزال يصارع لصاقتها، بأمثال هذه الأفاعيل، ليعود بها أموية صريحة تشهد لهند بالبراءة من قالة الناس وشهادات المؤرخين، وليكون ابن أبي سفيان حقاً!

فما لابن أبي سفيان ولرسول الله؟ وما لابن هند وكتاب الله؟ وكانت مطفأة الرضف التي أنست الناس الرزايا قبلها، ثم هي أول ذل دخل على العرب - كما قال ابن عباس (رضي الله تعالى عنه).

بل أول ذل دخل على الناس - كما قال أبو اسحق السبيعي رحمه الله.

وكانت بطبيعتها، أبعد مواد المعاهدة عن الخيانة، كما كانت بظروفها وملابساتها أجدرها بالرعاية وكانت بعد نزع السلاح ولف اللواء والالتزام من الخصم بالوفاء، أفظع جريمة في تاريخ معاوية الحافل بالجرائم.

وما في المدينة - موطن الحسن عليه السلام - ولا في أهل البيت، ولا في شيعة الحسن، ولا في جميع ما يمت إلى الحسن بسبب أو نسب، أي موجب يستدعي الوهم، أو يوقظ الريبة، أو يثير الظنون بأمر يخشاه معاوية على دنياه، إذاً، فما هذا الغَدر وما هو العُذر؟

وأين تلك العهود والعقود والايمان التي لا تبلغ قواميس اللغة أشد منها الفاظاً غلاظاً وتأكيداً شديداً؟

ترى، فهل نعتذر عن معاوية بما اعتذر به الاغرار المنسوبون إلى الإسلام عن ابنه يزيد في قتله الحسين ابن رسول الله عليه وعلى جده أفضل

الصلاة والسلام، فقالوا: شاب مغرور، ألهته القرود وغلبت عليه الخمور والفجور؟ فأين - اذاً - حنكة معاوية ودهاؤه المزعوم؟ وأين سنّه الطاعنة وتجاربه في الأمور؟

إنّ بائقة الأب هذه، كانت هي السبب الذي بعث روح القدوة في طموح الابن فليشتركا - متضامنين - في انجاز أعظم جريمة في تاريخ الإسلام، تلك هي قتل سيدي شباب أهل الجنة الاحدين الذين لا ثالث لهما، وليتعاونا معاً، على قطع الواسطة الوحيدة التي انحصر بها نسل رسول الله صلى الله عليه وآله، والجريمة - بهذا المعنى - قتل مباشر لحياة رسول الله بامتدادها التاريخي!

نعم، والقاتلان - مع ذلك - هما الخليفتان في الإسلام! فواضيعة الإسلام إن كان خلفاؤه من هذه النماذج!

وكان الدهاء المزعوم لمعاوية هو الذي زين له أسلوباً من القتل قصّر عنه ابنه يزيد، فكان هذا الشاب المغرور وكان ذاك الداهية المحنك في تصريف الأمور!

ولو تنفس العمر بأبي سفيان إلى عهد ولديه هذين، لأيقن أنهما قد أجادا اللعبة التي كان يتمناها لبني أبيه.

فاستعمل معاوية مروان بن الحكم، على اقناع جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي، وكانت من زوجات الحسن عليه السلام بأن تسقي الحسن السم وكان شربة من العسل بماء رومة. فإن هو قضى نحبه زوجها بيزيد، وأعطاها مائة الف درهم.

وكانت جعدة هذه بحكم بنوتها للأشعث بن قيس - المنافق المعروف - الذي أسلم مرتين، بينهما ردة منكرة، أقرب الناس روحاً إلى قبول هذه المعاملة النكراء.

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «إن الأشعث شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام، وابنته جعدة سمت الحسن، وابنه محمد شرك في دم الحسين».

أقول: وهكذا تمَّ لمعاوية ما أراد، وحكم بفعلته هذه على مصير أمة بكاملها، فأغرقها بالنكبات، وأغرق نفسه وبنيه بالذحول والحروب

والانقلابات، وتم له بذلك نقض المعاهدة إلى آخر سطر فيها.

وقال الحسن عليه السلام وقد حضرته الوفاة: «لقد حاقت شربته وبلغ أمنيته، والله ما وفى بما وعد، ولا صدق فيما قال»[1]. وورد بريد مروان إلى معاوية، بتنفيذ الخطة المسمومة، فقال: يا عجباً من الحسن شرب شربة من العسل بماء رومة فقضى نحبه[2].

ثم لم يملك نفسه من اظهار السرور بموت الحسن عليه السلام وكان بالخضراء، فكبر، وكبر معه أهل الخضراء، ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء، فخرجت فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف (زوج معاوية) من خوخة[3] لها، فقالت: سرك الله يا أمير المؤمنين، ما هذا الذي بلغك فسررت به؟ قال: موت الحسن بن علي.

فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم بكت وقالت: مات سيد المسلمين، وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال معاوية: نعما والله ما فعلت، إنه كان كذلك، أهل أن يبكى عليه.

وزاد ابن قتيبة على هذا بقوله: فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً حتى سجد وسجد من كان معه، وبلغ ذلك عبد الله بن عباس - وكان بالشام يومئذ - فدخل على معاوية فلما جلس، قال معاوية: يا بن عباس، هلك الحسن بن علي. فقال ابن عباس: نعم هلك إنا لله وإنا اليه راجعون ترجيعاً مكرّراً، وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته.

أما والله ما سد جسده حفرتك، ولا زاد نقصان أجله في عمرك، ولقد مات وهو خير منك، ولئن أصبنا به، لقد أصبنا بمن كان خيراً منه، جده رسول الله صلى الله عليه وآله فجبر الله مصيبته وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة. ثم شهق ابن عباس وبكى من حضر في المجلس، وبكى معاوية.

قال الراوي: فما رأيت يوماً أكثر باكياً من ذلك اليوم.

فقال معاوية: كم اتى له من العمر؟ فقال ابن عباس: امر الحسن

(١) المسعودي: هامش ابن الأثير: ج ٦، ص ٥٥ - ٥٦).

(٢) ابن عبد البر.

(٣) هي الكوة التي تؤدي الضوء إلى البيت، والباب الصغير في الباب الكبير.

أعظم من أن يجهل أحد مولده، قال: فسكت معاوية يسيراً ثم قال: يا بن عباس، أصبحت سيد قومك من بعده فقال ابن عباس: أما ما أبقى الله أبا عبد الله الحسين فلا[1] وعرض اليعقوبي (ج٢، ص ٢٠٣) صورة عن الأثر العظيم الذي قوبل به نبأ وفاة الحسن عليه السلام في الكوفة، وما اجتمع عليه زعماء الشيعة هناك في دار كبيرهم سليمان بن صرد وتعزيتهم الحسين عليه السلام بكتاب مفتجع بليغ.

وبلغ نعيه البصرة - وعليها زياد ابن سمية - فبكى الناس وعلا الضجيج فسمعه أبو بكرة أخو زياد لامه، وهو إذ ذاك مريض في بيته فقال: أراحه الله من شر كثير، وفقد الناس بموته خيراً كثيراً يرحم الله حسناً[2].

وأبّنه أخوه محمد ابن الحنفية، وقد وقف على جثمانه الشريف، وإليك نص تأبينه: «رحمك الله أبا محمد، فوالله لئن عزت حياتك، لقد هدت وفاتك ونعم الروح روح عمر به بدنك، ونعم البدن بدن ضمه كفنك، ولم لا تكون كذلك، وأنت سليل الهدى، وحلف أهل التقوى، وخامس أصحاب الكساء، غذتك كف الحق، وربيت في حجر الإسلام، وأرضعتك ثديا الايمان، فطب حياً وميتاً، فعليك السلام ورحمة الله، وإن كانت أنفسنا غير قالية لحياتك، ولا شاكة في الخيار لك»[3].

والنصوص على اغتيال معاوية الحسن بالسم متضافرة كأوضح قضية في التاريخ.

ذكرها صاحب الاستيعاب، والاصابة، والارشاد، وتذكرة الخواص ودلائل الامامة[4]، ومقاتل الطالبيين، والشعبي، واليعقوبي، وابن سعد في الطبقات، والمدائني، وابن عساكر، والواقدي، وابن الاثير، والمسعودي، وابن أبي الحديد، والمرتضى في تنزيه الانبياء. والطوسي في أماليه، والشريف الرضي في ديوانه، والحاكم في المستدرك، وغيرهم.

---

(١) ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ (ص ١٥٩ – ١٦٠) وذكر مثله أو قريباً منه اليعقوبي والمسعودي أيضاً.

(٢) ابن أبي الحديد: ج٤، ص٤.

(٣) اليعقوبي: ج ٢، ص٢٠٠ ؛ والمسعودي هامش ابن الأثير: ج ٦، ص٥٧؛ بتفاوت قليل في بعض الكلمات.

(٤) للطبري.

وقال في البدء والختام: وتوفي الحسن سنة ٤٩ للهجرة، سمّته جعدة بنت الأشعث بما دسّه معاوية إليها، ومنّاها بزواج ولده يزيد، ثم نقض عهدها، وقال ابن سعد في طبقاته: سمّه معاوية مراراً.

وقال المدائني: سقي الحسن السم أربع مرات، وقال الحاكم في مستدركه(١): إن الحسن بن علي سُمَّ مراراً، كل ذلك يسلم حتى كانت المرة الأخيرة التي مات فيها، فإنه رمى كبده.

وقال اليعقوبي: ولما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين: «يا أخي ان هذه آخر ثلاث مرات سقيت فيها السم، ولم أسقه مثل مرّتي هذه، وأنا ميت من يومي فإذا أنا متُّ فادفني مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فما أحد أولى بقربه مني، إلّا أن تمنع من ذلك، فلا تسفك فيه محجمة دم».

وقال ابن عبد البر: «دخل الحسين على الحسن، فقال: يا أخي اني سقيت السم ثلاث مرات، ولم اسق مثل هذه المرة أني لأضع كبدي، فقال الحسين: من سقاك يا أخي؟ قال: ما سؤالك عن هذا؟ أتريد أن تقاتلهم؟ كلهم إلى الله».

وقال الطبري في (دلائل الامامة)(٢): وكان سبب وفاته أن معاوية سمه سبعين مرة فلم يعمل فيه السم، فأرسل إلى امرأته جعدة بنت محمد (كذا) بن الأشعث بن قيس الكندي وبذل لها عشرين ألف دينار واقطاع عشر ضياع من شعب السواد، سواد الكوفة، وضمن لها أن يزوجها يزيد ابنه، فسقت الحسن السم في برادة من الذهب في السويق المقنّد.

وقال الله عزّ من قائل: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ (سورة محمد: ٢٢، ٢٣).

[صلح الإمام الحسن عليه السلام]

---

(١) (ج ٦،ص ٥) طبع باريس.

(٢) ص ٦١.

تخطيط الثورة

الشيخ باقر شريف القرشي

ودرس الإمام الحسين عليه السلام أبعاد الثورة بعمق وشمول، وخطط أساليبها بوعي وايمان، فرأى أن يزج بجميع ثقله في المعركة، ويضحي بكل شيء لإنقاذ الأمة من محنتها في ظل ذلك الحكم الأسود الذي تنكر لجميع متطلبات الأمة.. وقد أدرك المستشرق الألماني ماريين تخطيط الامام الحسين لثورته، فاعتبر أن الحسين قد توخى النصر منذ اللحظة الأولى، وعلم النصر فيه، فحركة الحسين في خروجه على يزيد - كما يقول - إنما كانت عزمة قلب كبير عز عليه الاذعان، وعز عليه النصر العاجل، فخرج بأهله وذويه ذلك الخروج الذي يبلغ به النصر الاجل بعد موته، ويحيي به قضية مخذولة ليس لها بغير ذلك حياة.

لقد أيقن أبو الشهداء عليه السلام أنّ القضية الإسلامية لا يمكن أن تنتصر إلّا بفخامة ما يقدّمه من التضحيات فصمم بعزم وإيمان على تقديم أروع التضحيات وهذه بعضها:

١ - التضحية بنفسه:

وأعلن الإمام عليه السلام عن عزمه على التضحية بنفسه، فأذاع ذلك في مكة فأخبر المسلمين أن أوصاله سوف تتقطع بين

النواويس وكربلاء، وكان في أثناء مسيرته إلى العراق يتحدث عن مصرعه، ويشابه بينه وبين أخيه يحيى بن زكريا، وأن رأسه الشريف سوف يُرفَع إلى بغي من بغايا بني أمية كما رُفِع رأس يحيى إلى بغي من بغايا بني إسرائيل.

لقد صمم على الموت واستهان بالحياة من أجل أن ترتفع راية الحق وتعلو كلمة الله في الأرض وبقي صامدا على عزمه الجبار فلم يرتهب حينما أحاطت به الجيوش الهائلة وهي تبيد أهل بيته وأصحابه في مجزرة رهيبة اهتز من هولها الضمير الانساني، وقد كان في تلك المحنة الحازبة من أربط الناس جأشاً، وأمضاهم جناناً، فلم يرَ قبله ولا بعده شبيهاً له في شدة بأسه وقوة عزيمته، كما لا يعرف التاريخ في جميع مراحله تضحية أبلغ أثراً في حياة الناس من تضحيته عليه السلام فقد بقيت صرخة مدوية في وجوه الظالمين والمستبدين.

٢ - التضحية بأهل بيته:

وأقدم أبو الشهداء عليه السلام على أعظم تضحية لم يقدمها أي مصلح اجتماعي في الأرض، فقد قدم أبناءه وأهل بيته وأصحابه فداء لما يرتئيه ضميره من تعميم العدل وإشاعة الحق والخير بين الناس.

وقد خطط هذه التضحية، وآمن بأنها جزء من رسالته الكبرى، وقد أذاع ذلك وهو في يثرب حينما خفت إليه السيدة أم سلمة زوج النبي تعذله عن الخروج، فأخبرها عن قتله وقتل أطفاله.. وقد مضى إلى ساحات الجهاد وهو متسلح بهذا الايمان، فكان يشاهد الصفوة من أصحابه الذين هم من أنبل من عرفتهم الانسانية في ولائهم للحق، وثم يتسابقون إلى المنية بين يديه، ويرى الكواكب من أهل بيته وأبنائه، وهم في غضارة العمر وريعان الشباب، وقد تناهبت أشلاءهم السيوف والرماح، فكان يأمرهم بالثبات والخلود إلى الصبر قائلا: «**صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبدا!**».

واهتزت الدنيا من هول هذه التضحية التي تمثل شرف العقيدة، وسمو القصد وعظمة المبادئ التي ناضل من أجلها، وهي - من دون شك - ستبقى قائمة على مر القرون والأجيال، تضيء للناس الطريق، وتمدهم بأروع الدروس عن التضحية في سبيل الحق والواجب.

٣ - التضحية بأمواله:

وضحى أبو الضيم بجميع ما يملك فداءً للقرآن، ووقاية لدين الله، وقد هجمت -بعد مقتله- الوحوش الكاسرة من جيوش الأمويين على مخيمه فتناهبوا ثقله ومتاعه حتى لم يتركوا ملحفة أو إزاراً على مخدرات الرسالة إلّا نهبوه، ومثلوا بذلك خسّة الإنسان حينما يفقد ذاتياته، ويمسخ ضميره.

٤ - حمل عقائل النبوة:

وكان من أروع ما خطط له الإمام العظيم عليه السلام في ثورته الكبرى حمله عقائل النبوة ومخدرات الرسالة إلى كربلاء، وهو يعلم ما سيجري عليهن من النكبات والخطوب، وقد أعلن ذلك حينما عذله ابن عباس عن حملهن معه إلى العراق، فقال له: «قد شاء الله أن يراهن سبايا..».

لقد أراد عليه السلام بذلك أن يستكمل أداء رسالته الخالدة في تحرير الأمة وانقاذها من الاستعباد الأموي، وقد قامت تلك السيدات بدور مشرف في اكمال نهضة أبي الشهداء عليه السلام فأيقظن المجتمع بعد سباته، وأسقطن هيبة الحكم الأموي، وفتحن باب الثورة عليه، ولولاهن لم يتمكن أحد أن يتفوه بكلمة واحدة أمام ذلك الطغيان الفاجر، وقد أدرك ذلك كل من تأمل في نهضة الإمام ودرس أبعادها، وقد ألمع إليها بعض العلماء والكتاب، وفيما يلي بعضهم:

١ - الإمام كاشف الغطاء: وأكد الإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء رحمه الله في كثير من مؤلّفاته أن الغاية من خروج الإمام بعائلته إلى كربلاء اكمال لنهضته وبلوغ إلى هدفه في تحطيم دولة الأمويين، يقول: «وهل تشك وترتاب في أن الحسين عليه السلام لو قتل وولده، ولم يتعقبه قيام تلك الحرائر في تلك المقامات بتلك التحديات لذهب قتله جبارا، ولم يطلب به أحد ثأراً ولضاع دمه هدراً، فكان الحسين يعلم أن هذا علم لابدّ منه، وأنه لا يقوم به إلّا تلك العقائل فوجب عليه حتماً أن يحملهن معه لا لأجل المظلومية بسببهن فقط، بل لنظر سياسي وفكر عميق، وهو تكميل الغرض، وبلوغ الغاية من قلب الدولة على يزيد، والمبادرة إلى القضاء عليها قبل أن تقضي على الإسلام وتعود الناس إلى جاهليتها الأولى..»[١].

(١) تحدث الإمام كاشف الغطاء عن هذه الجهة بالتفصيل في كتابه (السياسة الحسينية).

٢ - أحمـد محمـود صبحي: يقول الدكتور أحمد محمود صبحي: «ثم رفض -يعني الحسين- إلّا أن يصحب أهله ليشهد الناس على ما يقترفه أعداؤه بما لا يبرره دين ولا وازع من انسانية، فلا تضيع قضيته مع دمه المراق في الصحراء فيفترى عليه أشد الافتراء حين يعدم الشاهد العادل على كل ما جرى بينه وبين أعدائه، تقول الدكتورة بنت الشاطئ: أفسدت زينت أخت الحسين على ابن زياد وبني أمية لذة النصر، وسكبت قطرات من السم الزعاف في كؤوس الظافرين وان كل الاحداث السياسية التي ترتبت بعد ذلك من خروج المختار وثورة ابن الزبير وسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ثم تأصل مذهب الشيعة انما كانت زينب هي باعثة ذلك ومثيرته»(١).

«أريد أن أقول ماذا يكون الحال لو قتل الحسين ومن معه جميعاً من الرجال إلّا أن يسجل التاريخ هذه الحادثة الخطيرة من وجهة نظر أعدائه فيضيع كل أثر لقضيته مع دمه المسفوك في الصحراء..»(٢).

(١) بطلة كربلاء (ص١٧٦ و١٨٠).
(٢) نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية (ص٣٤٣).

هذه بعض الآراء التي تدعم ما ذكرناه من أن خروج الحسين عليه السلام بعائلته لم يكن الغرض إلا بلورة الرأي العام، وايضاح المقاصد الرفيعة التي ثار من أجلها ومن أهمها القضاء على دولة الأمويين التي كانت تشكّل خطراً مباشراً على العقيدة الإسلامية وهناك رأي آخر أدلى به العلّامة المغفور له الشيخ عبد الواحد المظفّر، وهو أنّ الحسين إنما خرج بعائلته خوفاً عليها من اعتقال الأمويين وزجها في سجونهم، قال: «الحسين لو أبقى النساء في المدينة لوضعت السلطة الأموية عليها الحجر، لا بل اعتقلتها علناً وزجتها في ظلمات السجون، ولابدّ له حينئذٍ من أحد أمرين خطيرين كلّ منهما يشل أعضاء نهضته المقدسة!

أمّا الاستسلام لأعدائه واعطاء صفته لهم طائعاً ليستنفذ العائلة المصونة وهذا خلاف الاصلاح الذي ينشده، وفرض على نفسه القيام به مهما كلّفه الأمر من الأخطار، أو يمضي في سبيل إحياء دعوته، ويترك المخدرات اللواتي ضرب عليهن الوحي ستراً من العظمة والاجلال، وهذا مالا تطيق احتماله نفس الحسين الغيور ولا يرادع أمية رادع من الحياء، ولا يزجرها زاجر من

الإسلام.

إنّ أمية لا يهمها اقتراف الشائن في بلوغ مقاصدها، وإدراك غاياتها فتتوصل إلى غرضها ولو بارتكاب أقبح المنكرات الدينية والعقلية.

ألم يطرق سمعك سجن الأمويين لزوجة عمرو بن الحمق الخزاعي، وزوجة عبيد الله بن الحر الجعفي وأخيراً زوجة الكميت الأسدي»[1].

وعلى أي حال فقد حطم الإمام بخروجه لعائلته جميع مخططات السياسة الأموية ونسف جميع ما أقامه معاوية من معالم الظلم، فقد قامت عقائل الوحي بدور فعال ببث الوعي الاجتماعي، وتعريف المجتمع بواقع الأمويين وتجريدهم من الإطار الديني، ولولاهن لاندرست معالم ثورة الحسين، وذهبت ادراج الرياح.

إن من ألمع الأسباب في استمرار خلود مأساة الإمام الحسين عليه السلام واستمرار فعالياتها في بث الاصلاح الاجتماعي على امتداد التاريخ هو حمل ودائع الرسالة وعقائل الوحي مع الامام فقد قمن بدور مشرق ببلورة الرأي العام، فحملن راية الايمان التي حملها الإمام العظيم، ونشرن مبادئه العليا التي استشهد من أجلها، فقد انبرت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله وشقيقة الحسين السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام إلى ساحات الجهاد، وهي تدك حصون الظالمين، وتدمر جميع ما أحرزوه من الانتصارات في قتل أخيها، وتلحق بهم الهزيمة والعار، وتملأ بيوتهم مأساة وحزناً.

لقد أقبلت قائدة المسيرة الحسينية عقيلة الوحي زينب عليها السلام إلى ساحة المعركة وهي تشق صفوف الجيش تفتش عن جثمان أخيها الامام العظيم فلما وقفت عليه شخصت لها ابصار الجيش، واستحال إلى سمع، فماذا تقول أمام هذه الخطوب المذهلة التي تواكبت عليها؟ أنها وقفت عليها غير مدهوشة لم تذهلها الرزايا التي تميد منها الجبال، فشخصت يبصرها إلى السماء؟ وهي تقول بحماسة الايمان وحرارة العقيدة قائلة: «اللهمّ تقبل منّا هذا القربان».

وأطلقت بذلك أول شرارة للثورة على الحكم الأموي بعد أخيها، وود الجيش أن تسيخ به الأرض، فقد استبان له عظم ما اقترفه من الإثم، وأنه قد أباد عناصر

(١) توضيح الغامض من أسرار السنن والفرائض (ص٢٩٧- ٢٩٨).

الإسلام، ومراكز الوعي والايمان.

ولما اقتربت سبايا أهل البيت عليهم السلام إلى الكوفة خرجت الجماهير الحاشدة لاستقبال السبايا فخطبت فيهم عقيلة الوحي خطاباً مثيراً ومذهلاً وإذا بالناس حيارى لا يعون ولا يدرون قد استحالت بيوتهم إلى مأتم وهم يندبون حظهم التعيس ويبكون على ما اقترفوه من الجرم، وحينما انتهت إلى دار الامارة استقبلها الطاغية متشفياً بأحط وأخس ما يكون التشفي قائلاً: «كيف رأيت صنع الله بأخيك؟».

وانطلقت عقيلة بني هاشم ببسالة وصمود فأجابته بكلمات النصر والظفر قائلة:

«ما رأيت إلّا جميلاً هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمك يا بن مرجانة».

وأخزت هذه الكلمات ابن مرجانة فكانت أشق عليه من ضرب السيوف وطعن الرماح، ولما انتهت إلى الشام هزّت العرش الأموي بخطابها المثير الرائع، وحقّقت بذلك من النصر ما لم تحقّقه الجيوش... لقد كان حمل الإمام الحسين عليه السلام لعائلته قائماً على أساس من الوعي العميق الذي أحرز به الفتح والنصر.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض أسباب الثورة الحسينية ومخططاتها.

[حياة الإمام الحسين عليه السلام]

أوراق اجتماعية

حق المؤمن على أخيه

الثقة الجليل حسين بن سعيد الكوفي (ق٣ هـ)

عن المعلى بن خنيس قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما حق المؤمن على المؤمن؟ قال: «إني عليك شفيق، إني أخاف أن تعلم ولا تعمل، وتضيع ولا تحفظ، قال: فقلت: لا حول ولا قوة إلّا بالله.

قال: للمؤمن على المؤمن سبعة حقوق واجبة، وليس منها حقٌّ إلّا وهو واجب على أخيه إن ضيع منها حقاً خرج من ولاية الله، وترك طاعته، ولم يكن له فيها نصيب.

أيسر حق منها: أن تحب له ما تحب لنفسك، وأن تكره له ما تكرهه لنفسك. والثاني: أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويديك ورجليك. والثالث: أن تتبع رضاه، وتجتنب سخطه، وتطيع أمره. والرابع: أن تكون عينه ودليله ومرآته. والخامس: أن لا تشبع ويجوع، وتروى ويظمأ، وتكتسي ويعرى. والسادس: أن يكون لك خادم وليس له خادم، ولك امرأة تقوم عليك وليس له امرأة تقوم عليه، أن تبعث خادمك يغسل ثيابه، ويصنع طعامه ويهيئ فراشه. والسابع: أن تبر قسمه، وتجيب دعوته، وتعود مرضته، وتشهد جنازته، وإن كانت له حاجة تبادر مبادرة إلى قضائها، ولا تكلّفه أن يسألكها، فإذا فعلت ذلك، وصلت ولايتك لولايته وولايته بولايتك».(١)

عن عيسى بن أبي منصور قال:

---

(١) عنه في المستدرك: ٢/ ٩٣ ح١١، وعن الاختصاص: ص٢٣.

كنت عند أبي عبد الله عليه السلام أنا وعبد الله بن أبي يعفور وعبد الله بن طلحة، فقال عليه السلام ابتداء: «يا بن أبي يعفور، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ست خصال من كن فيه كان بين يدي الله عز وجل، وعن يمين الله عز وجل»، قال ابن أبي يعفور: وما هي؟ جعلت فداك، قال: «يحب المرء المسلم لأخيه ما يحب لأعز أهله، ويكره المرء المسلم لأخيه ما يكره لأعز أهله، ويناصحه الولاية»، فبكى ابن أبي يعفور وقال: كيف يناصحه الولاية؟

قال: «يا بن أبي يعفور، إذا كان منه بتلك المنزلة بثه همه يهم لهمه، وفرح لفرحه إن هو فرح، وحزن لحزنه إن هو حزن، فإن كان عنده ما يفرج عنه فرج عنه، وإلّا دعا الله له»، قال: ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: «ثلاث لكم وثلاث لنا: أن تعرفوا فضلنا، وأن تطؤوا أعقابنا، وتنظروا عاقبتنا فمن كان هكذا كان بين يدي الله فيستضيء بنورهم من هو أسفل منهم، فأمّا الذين عن يمين الله فلو أنهم يراهم من دونهم لم يهنئهم العيش مما يرون من فضلهم»، فقال ابن أبي يعفور: مالهم فما يرونهم وهم عن يمين الله! قال: «يا ابن أبي يعفور إنهم محجوبون بنور الله، أما بلغك حديث، أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: إن المؤمنين عن يمين الله وبين يدي الله، وجوههم أبيض من الثلج وأضوأ من الشمس الضاحية، فيسأل السائل: من هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء الذين تحابوا في جلال الله»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «والله ما عبد الله بشيء أفضل من أداء حق المؤمن، فقال: إن المؤمن أفضل حقاً من الكعبة»[2].

وقال: «إن المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله، فلا يخونه، ولا يخذله[3]، ومن حق المسلم على المسلم أن لا يشبع ويجوع أخوه، ولا يروى ويعطش أخوه، ولا يلبس ويعرى أخوه، وما أعظم حق المسلم على أخيه المسلم»[4].

---

(١) عنه في المستدرك: ٢/ ٩٣ ح١٢، واخرجه في الوسائل عن الكافي.

(٢) اخرجه في البحار: ٧٤/ ٢٢٢، عن الاختصاص.

(٣) اخرجه في البحار: ٧٤/ ٣١١.

(٤) اخرج نحوه في البحار: ٧٤/ ٢٢١.

وقال: «أحبب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك، وإذا احتجت فسله، وإذا سألك فأعطه، ولا تمله خيراً ولا يمله لك، كن له ظهيراً فإنه لك ظهير، إذا غاب فاحفظه في غيبته، وإن شهد زره وأجلله وأكرمه، فإنه منك وأنت منه، وإن كان عاتباً فلا تفارقه حتى تسل سخيمته، وإن أصابه خير فاحمد الله عز وجل، وإن ابتلي فأعطه، وتحمل عنه وأعنه»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المؤمن أخو المؤمن يحق عليه نصيحته ومواساته، ومنع عدوه منه»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما عُبِدَ الله بشيء أفضل من أداء حق المؤمن»[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يخذله، ولا يعيبه، ولا يحرمه، ولا يغتابه»[4].

(١) عنه في البحار: ٧٤/ ٢٣٤.

(٢) عنه في المستدرك: ٢/ ٩٢ ح٤ وصدره في ص٤١٢ ح٣.

(٣) عنه في المستدرك: ٢/ ٩٢ ح١.

(٤) عنه في المستدرك: ٢/ ٩٢ ح٥.

وعنه عليه السلام قال: «إن من حق المسلم إن عطس أن يسمته، وإن أولم أتاه، وإن مرض عاده، وإن مات شهد جنازته»[5].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن نفراً من المسلمين خرجوا في سفر لهم، فأضلوا الطريق فأصابهم عطش شديد فتيمّموا[6] ولزموا أصول الشجر، فجاءهم شيخ عليه ثياب بيض، فقال: قوموا، لا بأس عليكم، هذا الماء قال: فقاموا وشربوا فارووا[7] فقالوا له: من أنت رحمك الله؟ قال: أنا من الجن الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله، إني سمعته يقول: «المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله» فلم تكونوا تضيعوا بحضرتي»[8].

عن سماعة قال: سألته عن قوم عندهم فضول وبإخوانهم حاجة شديدة وليس تسعهم الزكاة، وما يسعهم أن يشبعوا ويجوع إخوانهم، فإن الزمان شديد، فقال: «المسلم

(٥) عنه في المستدرك: ٢/ ٩٢ ح٦.

(٦) في الكافي: (فتكفنوا).

(٧) في الكافي: (ارتووا).

(٨) عنه في المستدرك: ٢/ ٩٢ ح٧.

أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحرمه[1] ويحق على المسلمين الاجتهاد له، والتواصل على العطف، والمواساة لأهل الحاجة، والتعطف منكم، يكونون على أمر الله رحماء بينهم متراحمين، مهمين[2] لما غاب عنكم من أمرهم، على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله»[3].

وعنه قال: سألناه عن الرجل لا يكون عنده إلّا قوت يومه، ومنهم من عنده قوت شهر، ومنهم من عنده قوت سنة، أيعطف من عنده قوت يوم على من ليس عنده شيء، ومن عنده قوت شهر على من دونه، ومن عنده قوت سنة على من دونه على نحو ذلك، وذلك كلّه الكفاف الذي لا يلام عليه فقال عليه السلام: «هما أمران، أفضلكم فيه أحرصكم على الرغبة فيه، والأثرة على نفسه، إن الله عز وجل يقول: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(الحشر: ٩)، وإلّا لا يلام عليه، واليد العليا خير من اليد السفلى، ويبدأ بمن يعول»[4].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «أيجيء أحدكم إلى أخيه فيدخل يده في كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه»؟ فقلت: ما أعرف ذلك فينا، قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: «فلا شيء إذن»، قلت: فالهلكة إذاً! قال: «إن القوم لم يعطوا أحلامهم بعد»[5].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قد فرض الله التمحل على الأبرار في كتاب الله»، قيل: وما التمحل؟ قال: «إذا كان وجهك آثر عن وجهه التمست له»[6].

وقال عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ قال: «لا تستأثر عليه بما هو أحوج إليه منك»[7].

[كتاب المؤمن]

---

(١) في الكافي: (لا يخونه).

(٢) في الكافي: (مغتمين).

(٣) صدره في المستدرك: ٢/ ٩٢ ح٨، واخرج ذيله في البحار: ٧٤/ ٢٥٦ ح٥٣.

(٤) عنه في المستدرك: ١/ ٥٣٩ ح١.

(٥) عنه في المستدرك: ١/ ٥٣٩ ح٥، وفي البحار والكافي.

(٦) عنه في المستدرك: ١/ ٥٣٩ ح٢، وفي البحار والوسائل.

(٧) عنه في المستدرك: ١/ ٥٣٩ ح٢.

علاج الوساوس

المولى محمد مهدي النراقي

العلاج في دفعها أن يتذكر سوء عاقبة العصيان ووخامة خاتمته في الدنيا والآخرة، ويتذكر عظيم حق الله وجسيم ثوابه وعقابه، ويتذكر أن الصبر عما تدعو إليه هذه الوساوس أسهل من الصبر على نار لو قذف شرارة منها إلى الأرض أحرقت نبتها وجمادها، فإذا تذكر هذه الأمور وعرف حقيقتها بنور المعرفة والإيمان، حبس عنه الشيطان وقطع عنه وسواسه، إذ لا يمكن أن ينكر عليه هذه الأمور الحقة، إذ يقينه الحاصل من قواطع البرهان يمنعه عن ذلك ويخيبه، بحيث يرجع هارباً خائباً.

فإن التهاب نيران البراهين بمنزلة رجوم الشياطين، فإذا قوبلت بها وساوسهم فرّت فرار الحمير من الأسد.

وإن كانت مختلجة بالبال بلا إرادة واختيار، من دون أن تكون مبادئ الأفعال، فقطعها بالكلية في غاية الصعوبة والإشكال، وقد اعترف أطباء النفوس بأنها الداء العضال ويتعسر دفعه بالمرة، وربما قيل بتعذره، ولكن الحق إمكانه، لقول النبي صلى الله عليه وآله: «من صلى ركعتين لم تتحدث نفسه فيهما بشيء غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»، ولولا إمكانه لم يتصوّر ذلك.

والسر في صعوبة قطعها بالكلية أن للشيطان جندين: جنداً يطير وجنداً يسير، والواهمة جنده الطيار، والشهوة جنده السيار؛ لأنّ غالب ما خلقتا منه هي النار التي خلق منها

الشيطان فالمناسبة اقتضت تسلطه عليهما وتبعيتهما له.

ثم لما كانت النار بذاتها مقتضية للحركة، إذ لا تتصور نار مشتعلة لا تتحرك، بل لا تزال تتحرك بطبعها، فشأن كل من الشيطان والقوتين أن يتحرك ولا يسكن، إلّا أن الشيطان لما خلق من النار الصرفة من دون امتزاج شيء آخر بها فهو دائم الحركة والتحريك للقوتين بالوسوسة والهيجان، والقوتان لما امتزج بغالب مادتهما - أعني النار- شيء من الطين لم تكونا بمثابة ما خلق من صرف النار في الحركة، إلّا أنهما استعدتا لقبول الحركة منه، فلا يزال الشيطان ينفخ فيهما ويحركهما بالوسوسة والهيجان ويطير ويجول فيهما ثم الشهوة لكون النارية فيها أقل فسكونها ممكن، فيحتمل أن يكف تسلط الشيطان عن الإنسان فيها فيسكن بالكلية عن الهيجان.

وأمّا الواهمة فلا يمكن أن يقطع تسلطه عنها، فيمتنع قطع وسواسه عن الإنسان، إذ لو أمكن قطعه أيضاً بالمرة، لصار اللعين منقاداً للإنسان مسخراً له، وانقياده له هو سجوده له، إذ روح السجود وحقيقته هو الانقياد والإطاعة، ووضع الجبهة حالته وعلامته، وكيف يتصوّر أن يسجد الملعون لأولاد آدم عليه السلام مع عدم سجوده لأبيهم واستكباره من أن يطمئن عن حركته ساجداً له معللاً بقوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف: ١٢٢) فلا يمكن أن يتواضع لهم بالكف عن الوسوسة، بل هو من المنظرين لإغوائهم إلى يوم الدين، فلا يتخلص منه أحد إلّا من أصبح وهمومه هم واحد فيكون قلبه مشتغلاً بالله وحده، فلا يجد الملعون مجالاً فيه، ومثله من المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين فلا تظنن أنه يخلو عنه قلب فارغ، بل هو سيال يجرى من ابن آدم مجرى الدم، وسيلانه مثل الهواء في القدح فإنك إن أردت أن تخلي القدح عن الهواء من غير أن تشغله بمثل الماء فقد طمعت في غير مطمع، بل بقدر ما يدخل فيه الماء يخلو عن الهواء، فكذلك

القلب إذا كان مشغولاً بفكر مهم في الدين يمكن أن يخلو من جولان هذا اللعين، وأما لو غفل عن الله ولو في لحظة، فليس له في تلك اللحظة قرين إلّا الشيطان، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: ٣٦).

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله يبغض الشاب الفارغ»؛ لأن الشاب إذا تعطّل عن عمل مباح يشغل باطنه لا بدّ من أن يدخل في قلبه الشيطان ويعيش فيه ويبيض ويفرخ، وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالداً أسرع من توالد الحيوانات؛ لأن الشيطان طبعه من النار، والشهوة في نفس الشاب كالحلفاء اليابسة، فإذا وجدها كثر تولده تولدت النار من النار ولم تنقطع أصلاً.

فظهر أنّ وسواس الخناس لا يزال يجاذب قلب كلّ إنسان من جانب إلى جانب، ولا علاج له إلّا قطع العلائق كلّها ظاهراً وباطناً، والفرار عن الأهل والمال والولد والجاه والرفقاء، ثم الاعتزال إلى زاوية، وجعل الهموم هماً واحداً هو الله.

وهذا أيضاً غير كاف ما لم يكن له مجال في الفكر وسير في الباطن في ملكوت السماوات والأرض وعجائب صنع الله، فإن استيلاء ذلك على القلب واشتغاله به يدفع مجاذبة الشيطان ووسواسه، وإن لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه إلّا الأوراد المتواصلة المترتبة في كل لحظة من الصلوات والأذكار والأدعية والقراءة.

ويحتاج مع ذلك إلى تكليف القلب الحضور؛ إذ الأوراد الظاهرة لا تستغرق القلب، بل التفكر بالباطن هو الذي يستغرقه وإذا فعل كل ذلك لم يسلم له من الأوقات إلّا بعضها، إذ لا يخلو في بعضها عن حوادث تتجدّد وتشغله عن الفكر والذكر، كمرض أو خوف أو إيذاء أوطغيان، ولو من مخالطة بعض لا يستغنى عنه في الاستعانة في بعض أسباب المعيشة.

[جامع السعادات]

الافتخار بالنسب

الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء

إذا لاحظنا ما للأنساب من الاعتبارات عند العرب عامة وعند الهاشميين على الأخص وما لها من كرامة وقوانين عرفية وضعية تعرف السبب الباعث للشريف الرضي، فيما أكثر فيه من الافتخار بنسبه وما يتصل بذلك من الإيفاء بكل ما يتوصل به لتولي النقابة فيها.

إن للأنساب شأنا مهما عند الأمة العربية قبل الإسلام وبعده ولعلمائها كرامة وقولهم فصل ينفث به حد الشدائد وتحل فيه عقد المكاره في حياتها العائلية والاجتماعية وقولهم مقطع الأمر ومرجعه، به تشد وشائج الأرحام فينطفئ بها لهيب الأضغان وبقولهم نختار كرائم الأزواج لطهارة الأنساب، والنسب بعد ذلك من الدعائم التي ترتكز عليه مقدراتهم الاجتماعية وتتصل به اتصالا وثيقا.

لقد كان الحكم في الأمة العربية طائفيا قبل الإسلام وبعده ولحد الآن لم يستأصل ذلك النوع من الحكم من مجموعها الاجتماعي في كثير من أقطارها التي تقطنها مهما كان نفوذ الدولة التي تنضوي تحت سيادتها فإن زعيم العشيرة وسريها هو صاحب السلطنة المطلقة في أفرادها والملك غير المتوج ولكل عشيرة قوانين عرفية تقليدية تتواضع عليها وتتحد بها صلاتها مع غيرها من الطوائف الأخرى وتتمسك بها إلى حد الغلو وتتكون لها بها شخصية اجتماعية

ممتازة ولا يتنافى ذلك مع سيادة الدولة التي يشملها سلطانها، وأن لطوائف الأمة العربية درجات في الكرامة الاجتماعية محترمة تتحاسب عليها في المناسبات التي تقع بينها فكان حتما في هذا الوضع الاجتماعي أن يحتفظ بالأنساب ويكون الشريف الرضي، لعلمائها شأناً يذكر في كثير من مقدراتها الحيوية، ثم في تعاقب الحكم الأموي والعباسي تضاعفت الحاجة إلى معرفة الأنساب ودونت لها المؤلفات والكتب وأدخلت في قائمة العلوم التي تدرس وتتفاضل بها العلماء ووضعت لها الكلمات الاصطلاحية والرموز الفنية ولكن الحاجة إليها في الدور الأموي لا تشبهها في الدور العباسي.

حرص الأمويون على احتكار السيادة الإسلامية للعرب دون غيرهم من الشعوب الإسلامية وشدوا العزيمة على صيانة الحكم العربي من الدخلاء والموالي وقاوموا العقيدة الشعوبية بكل ما لهم من طاقة ومنه فكانت للأنساب العربية ولمن يحمل شهادة عالية بها قيمة مرعية في اندماج حاملها في عناصر الحكم وكان من المحتم الشطب على الدخيل والمولى من ملاك الوظائف ولما أعقبه الدور العباسي تطلعت رؤوس الموالي وقبضوا على أزمة الحكم وانكمش أشراف العرب يتطاولون بالعظام ويتفاخرون بها كانت وضعفت قيمة النسب العربي بصورة عامة وبضعفها قلت الحاجة إلى النسابين إلا أنه من بين ذلك كان لأنساب الهاشميين بصورة خاصة شأن عال في مقدرات الدولة نظير ما كان للعربي القح في دور الأموي أو أعظم باعتبار أنهم الأسرة المالكة وورّاث العرش الشرعيون وكانت لهم حقوق استثنائية يتمتعون بها لابد من رعايتها وللشيعة من ناحية أخرى دينية محضة اهتمام آخر بأنساب الهاشميين لاعتقادها أن لهم حقاً شرعياً مالياً في بيت المال الإسلامي وهو الذي يسميه فقهاؤها بالخمس الهاشمي وان لهم حقوقا وواجبات دينية غير ذلك هي من جملة أحكام الفقه الديني.

[كتاب حياة الشريف الرضي: ص ١١٢]

أوراق ثقافية

محاولة الاستعمار في العصر الحديث القضاء على الإسلام

آية الله العظمى السيّد محمّد سعيد الحكيم

في العصر الحديث حين دخل الاستعمار بلاد الإسلام بما له من قوة عسكرية هائلة، وثقافة مادية عالية، استطاعوا بها أن يجمدوا ثقافتهم الدينية التي سادت في بلادهم قروناً كثيرة، وكانت هي القوة الفاعلة لهم في حروبهم الصليبية في القرون الوسطى، ومع ذلك كانت الغلبة أخيراً للثقافة المادية عندهم، وبقي الحال عندهم على ذلك حتى اليوم.

وكان مخططهم في اكتساح بلاد الإسلام هو العمل على نسيان المنطقة تاريخها مقدمة لتجريدها من عقيدتها ودينها، وتوجيهها الوجهة المادية الصرفة، كما كان هو الحال في بلادهم، التي هي المتحضرة بمنظورهم المادي الذي نجح في بلادهم.

وقد نشطوا في ذلك، وأعانهم واقع المسلمين المزري في وقته، وقد سمعنا من شيوخنا ورأينا في مذكرات بعضهم، ما يشهد بالإحباط واليأس الذي خيّم عليهم، نتيجة جهود

الاستعمار الحثيثة بعد الحرب العالمية الأولى في صرف الناس عن دينهم.

فشل الاستعمار في محاولته

لكن ذلك لم يدم طويلاً حتى استعاد الإسلام حيويته وفاعليته، وبدأت مظاهر نشاطه تظهر، وتيسر المواصلات ووسائل الاتصال الثقافي، حتى صار العالم كالقرية الواحدة.

من دون فرق في ذلك بين الخط الإسلامي الأصيل المعتدل، والخط الإسلامي المشوّه المتطرف الذي ينتهي بالإرهاب بمراتبه المختلفة.

فإن الثاني وإن خرج عن الإسلام بتعاليمه القويمة، والإسلام يبرأ منه، إلّا أن ذلك يكشف عن بقاء فاعلية الإسلام ـ بإطاره العام ـ وحيويته، وإن ساء استغلالها من قبل من يتبناه ويتخذه شعاراً له، ليظهر في الساحة، ويستقطب به الجماهير، نظير ما حصل في عصور الإسلام الاولى من الخوارج والقرامطة وغيرهم.

ظهور سلبيات الثقافة المادية

وبطول المدة بدأت تظهر على الصعيد العالمي سلبيات الثقافة المادية الجوفاء ومخاطرها المدمرة، نتيجة تحلل مجتمعاتها عن القيم والأخلاق وعن الروابط العائلية، والأعراف الاجتماعية، وحتى عن بعض الروابط الغريزية التي لم يتحلل عنها الحيوان.

وأصبح الفرد يعيش لوحده لا همّ له الا تحصيل لذّاته من أقصر طرقها. ويعاني مشاكل الوحدة والاكتئاب والضجر الذي قد ينتهي بحب التغيير ولو الى الأسوأ، أو بالانتحار أو استعمال المخدرات، فراراً من الواقع المزري الذي يعيشه.

وبدأ كثير من المتعلقين منهم والباحثين يعترفون بذلك الواقع المزري الذي تعاني مجتمعاتهم منه، ويشعرون بخطره عليها، بل يتوقعون انهيارها نتيجة لذلك، من دون أن يجدوا حلًّا لمشكلاتهم.

أولاً: لسيطرة الاعلام المشبوه، وقوى الشر الخفية، التي تحاول تدمير شخصية الفرد، وتحويله إلى آلة منتجة.

ثانياً: لعدم وجود عقيدة محكمة

الأســـاس يـلـجـؤون إلـيـهـا، تجمع شملهم، وتحصنهم من سموم الإعلام وقـوى الـشر المـذكـوريـن، وتحـد من نشاطهما.

احترام الثقافة الإسلامية في الغرب:

وأخذوا ينظرون لواقع المجتمع الإسلامي الأصيل ـ على سلبياته التي نعاني منها ـ نظرة الاحترام والإكبار، ويتحسرون لحالهم، وقد صادف اللقاء المباشر بيننا شخصياً وبين جماعة منهم في فترات زمنية قريبة تجلى لنا بسبب، وبما نقل لنا عن آخرين، ذلك منهم، بل أعلن بعض الباحثين ـ فيما بلغنا ـ أن العاقبة للإسلام ، عن فشل الثقافة المادية وتوقع انهيارها.

وما ذلك إلّا لقوة الإسلام الذي جاء به نبينا العظيمﷺ، وأقام كيانه بحكمته العالية، وجهوده الجبارة.

[خاتم النبيين]

الصراع الثقافي

آية الله السيّد محمّد باقر السيستانيّ

س: يجد الشخص المسلم من بعض الجهات توجهاً لفرض ثقافات مغايرة على المجتمع من خلال استخدام جملة من الوسائل كالمال والإعلام، فما هي طرق العلاج والوقاية؟

ج: يجد أي متابع للساحة الثقافية والإعلامية والنشاطات المختلفة أن هناك صراعاً ثقافياً بالفعل بين المجتمعات المعاصرة، حيث تسعى بعض هذه المجتمعات إلى النفوذ في المجتمعات المغايرة لها في ثقافتها والتأثير عليها لتفقد خصوصياتها وتتبع ثقافة المجتمع الآخر.

وهذه صورة حديثة من الصراع في المجتمعات البشرية، حيث كانت الصور السائدة من الصراع من قبل هي الصراعات القومية مثلاً، حيث يسعى بعض الأقوام إلى إزاحة كيان أقوام آخرين بالقتل والاستعباد أو جعل كيانها تابعاً لها من خلال الاستعمار على سبيل المثال، وكذلك الصراعات السياسية التي كان يسعى فيها بعض الحكام للتوسع على حساب حكام آخرين، والصراعات الدينية التي يسعى فيها أهل بعض الأديان إلى فرض عقيدتهم على الآخرين من منطلق توسعة النفوذ، والصراعات

الاقتصادية التي تسعى فيها بعض المجتمعات إلى السيطرة على خيرات بلاد مجتمعات أخرى من خلال السيطرة على ثرواتها وإمكاناتها أو من خلال جعل أهلها مستهلكين فحسب للسلع التي تصدّر إليهم.

فكانت الصورة الأكثر تطوراً من الصراع في المجتمع البشري هو الصراع الثقافي للتأثير على فئة من المجتمع المستهدف وضرب كيانه وتاريخه وحضارته، خاصةً وأن التأثير أصبح أكثر سهولة بعد اختلاط المجتمعات والأقوام وأهل الأديان والثقافات مع بعضها البعض بفعل وسائل الاتصالات والتواصل الحديثة.

على أنّ هذه الصورة رغم وجهها الثقافي لم تكن تخلو في عمقها عن دوافع قومية وسياسية ودينية واقتصادية.

كما أنّ أدوات الصراع المعاصرة قد اختلفت بعض الشيء عن العصور السابقة حيث كانت الأدوات المعروفة من قبل أدوات خشنة كالاحتلال العسكري والاستعمار الصريح، ولكن أصبحت الأدوات المعتمدة اليوم أدوات ناعمة من خلال عناوين برّاقة لا تثير حساسية المجتمع الذي يتم غزوه ولا تجرح كبرياءه ليدعوه إلى المقاومة، وهي إمّا عناوين فكرية مثل نسبية الحقيقة، أو عناوين أخلاقية مثل حقوق الإنسان التي تُتخذ ذريعة للمطالبة بعناوين أخرى كالحرية الشخصية والمساواة بين الناس، وكل ذلك مما تنطبق عليه المقولة المعروفة: (كلمة حق يراد بها باطل)، وهذا هو الخطر الذي يهدد المجتمعات الإنسانية المعاصرة؛ حيث إن المجتمع الذي يكون أكثر تمسكاً بثقافته وأكثر امتلاكاً لأدوات التأثير سيكون مهيمناً على المجتمع الذي يكون غافلاً عن مجريات هذا الصراع ويتساهل في التمسك بثقافته وأعرافه الرصينة، وبذلك يكون فريسة سهلة لإزاحة كيانه الثقافي من غير حاجة إلى غزو عسكري واستعمار واستعباد لأهله، ولا استعجال في هذا الصراع، فالمهم أن التغيير الثقافي يتم خلال جيل أو أكثر بشكل تدريجي بعد النفوذ في المجتمع الآخر.

وليس هذا التوجس في أصله

مغالاة ناشئة عن سوء الظن والبناء على نظرية المؤامرة، ولكنه واقع يجد الباحث شواهده واضحة من خلال المقارنة بين السلوكيات المجتمعة لتلك المجتمعات إزاء القضايا المتماثلة، ومن خلال طبيعة مساعداتها للمجتمعات الأخرى التي تغزوها والمجالات التي تهتم بها، ومن خلال بعض التصريحات لقياداتها، فضلاً عن الاطلاع على الوضع العالمي واتجاهاته ومسارات الصراع والتنافس فيه وملاحظة التقريرات الاستخبارية التي تتسرب بين حين وآخر، وهناك امثلة لهذا الصراع مشهودة وواضحة لكل متابع.

وليس مقتضى ذلك أن يكون كل فرد يعمل في اتجاه معين منتبهاً وقاصدا الى العمل في تلك الاتجاهات المشبوهة، فالإنسان في الحرب الثقافية - بل السياسية - قد يقع من حيث لا يحتسب في سياق معين كبير وواسع ومخطط له من غير أن يستحضر بنفسه حقيقة الدور الذي يؤيده والنتائج التي تترتب على دوره، فيكون لبنة في بناء الآخرين من غير ان يستحضر اتجاه البناء وغاياته وآثاره.

لا ينظر الإنسان المؤمن بالدين الطالب للحقيقة في هذه الحياة إلى هذا المشهد من خلال التعصبات القومية والنعرات الجاهلية أو المصالح المؤقتة.

ولكنه ينظر اليه من زاوية تحري الحقيقة والاخلاص لها والانتباه الى مسارات الحق والباطل في الحياة، وليس اعتناقه الدين كعقيدة وقيم وسلوكيات تقليداً وعصبية، وانما هو للإيمان بأنه الفكر الصائب والبصيرة النافذة والرؤية الثاقبة للحياة التي أرادها الله سبحانه لهذا الكون وخلق عليها الانسان، فالإنسان مزود بفطرة خلق عليها واتجاه يسير إليه ليختبر الله سبحانه معرفته واتجاهه وسلوكه، ليؤتي سبحانه كل ذي فضل فضله ويجزي الذين اساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

ولذلك نجد الالتباسات التي تطرأ في هذا الشأن مصداقاً للشبهات التي يختبر الله سبحانه بها خلقه في الحياة في كل زمان بحسبه، فقد كان لهذا الاختبار صورة في زمان النبي صلى الله عليه وآله تمثلت في عقيدة

التوحيد ومحاربة الشرك، ثم كان بعد النبي ﷺ في الاذعان لاصطفاء أهل البيت عليهم السلام وامامتهم وكونهم الثقل القرين لكتاب الله سبحانه والعاصم من الضلال، ثم كان في خلافة الامام علي عليه السلام واتباعه في مقابل الشبهات المثارة ممن حاربه، ثم كان في زمان الامام الحسن عليه السلام في الخيار الحكيم بين مسار الصلح والحرب بداية وانتهاء، ثم كان في زمان الامام الحسين عليه السلام في الإباء عن البيعة وعدم الرضوخ للظالم، ثم كان في زمان الائمة عليهم السلام بعد الحسين عليه السلام في طبيعة السلوك الملائم مع التحديات حينها.

وإذا كان الإنسان المؤمن دائماً يستذكر الوقائع التاريخية في زمان النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام ويتمنّى لو كان معهم فيفوز بالاقتداء بهم، فينبغي أن يعلم أن لكلّ زمان شبهاته وفتنه والاختبار الأصعب في هذه الحياة ليس في السير في المسار الصحيح من بعد تشخيصه فحسب، بل التبصّر في تشخيص المسار الحق بين الاتجاهات المختلفة والشبهات المكتنفة للحقيقة التي تحجب الرؤية الثاقبة والنافذة لها، وإذا كان المرء يجد الحقيقة في شأن الحوادث السابقة، فإن ذلك لن يعني بالضرورة أنه كان يجدها لو عاش حينها؛ لأن الفتن إذا اقبلت كانت كقطع الليل المظلم، ثم تكشف بعد فترة - كما في كلام للإمام عليه السلام في نهج البلاغة - ولذلك من المهم أن يتبصّر المؤمن في الشبهات والفتن التي اختبر بها في زمانه، مستفيداً ومعتبراً ومتعظاً مما مرَّ بالأقوام السابقة من اختبارات، وذلك باكتشاف الشبهة والاتجاه الحق في ضوضاء الفتنة التي ابتلي بها من خلال التبصّر، ثم السلوك الصائب والحازم والثابت على المسار الصحيح.

وأما طرق الوقاية والعلاج في المستوى الفردي والاجتماعي فهي ترتكز على عدة أمور:

١ـ التبصّر في الموضوع، بالانتباه إلى ابعاده وآفاقه والتذكير بها؛ لأنّ الغفلة عن ذلك تؤدي إلى أن لا يعرف الإنسان موضوع خُطاه واتجاه سيره حقيقة، ولا يعرف وظيفته في هذا السياق.

٢ـ الاتصاف بالعلم وبالعناصر الثقافية الرشيدة والتثبت أو التوقف

في المواضع المناسبة، فإن التسلح بذلك يعطي المرء القدرة على التمييز بين الحق والباطل وبين الحقيقة والخرافة، ويُجنب المرء الوقوع في مستنقعها والاتصاف بها، كما سيجنبه من فعل ما يشوّه الحقيقة - ولو من غير عمد - وربّ امرئ قاصد للحق ولكن يخرجه بما يشوّهه، مما يثير الشك فيه ويوجب الريبة تجاهه، فيذهب باطله بحقه.

ولذلك كان على المرء الالتزام بالموضوعية في الطرح وتجنب الأقوال المتسرّعة والخطوات الانفعالية، فإن ذلك أسلم له في نفسه وللرسالة التي يريد أداءها من الدعوة إلى الاتجاه الراشد والسليم.

٣- الاتصاف بجوامع الأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة التي هي جزء من الفطرة الإنسانية وجزء من تعاليم الدين الحنيف، فإنها أساس في العقيدة الراشدة والمنهج الصائب، وهي مع ذلك عامل مساعد على صيانة النفس عن الشبهات وصلوح المرء للدعوة بسلوكه أو بقوله للاتجاه الصائب في الحياة.

٤- تحريك روح التصحيح في المجتمع وعدم الوقوف متفرجاً تجاه الأمواج العاتية الوافدة، كما هو مقتضى فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومصداق الحديث النبوي المعروف: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**».

٥- الاهتمام بالعمل الجماعي للتثقيف وفق قواعده وسننه المقبولة، لما يوجبه تراكم الأفكار والإمكانات من مقدرة كبيرة وبيئة ملائمة، وصيانة عن الأخطار، ولذلك قال سبحانه: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾(١)، وقال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾(٢).

٦- الاعتناء بالأسرة وروابطها، فإن الأسر - من المرأة والشباب والأطفال - هم الهدف الأول للأمواج الثقافية، فالعناية بتماسكها وصلاحها وسلامتها يكون أساساً متيناً في مقابل هذه الأمواج التي تحاول اختراق هذه الوحدة الاجتماعية الأساسية.

---

(١) سورة المائدة: آية٢.

(٢) سورة التوبة: آية٧١.

٧ـ اتخاذ الأساليب الصالحة والملائمة في نشر الثقافة الراشدة كالتي يسلكها أصحاب الثقافات الغازية الوافدة لنشر اتجاهاتهم، من الأساليب الاعلامية المؤثرة، مع تجنب ما يستعمله الآخرون أحياناً من الأساليب الوضيعة والذميمة البعيدة عن الاحتراف والموضوعية.

٨ـ خلق بيئة مناسبة للرشد والسلامة تكون بديلاً عن البيئات الفاسدة والموبوءة وتكون أرضية رصينة للثبات والصلاح والسداد وتساعد على الحفاظ على العقائد الراشدة والقيم الفاضلة وتقي من الزلل والخطايا.

وبعد، فإنّ لروح الاخلاص لله سبحانه وللحقيقة والبعد عن الأنانيات الضيقة والمنافع الشخصية أكبر الأثر في صلاح العمل والتوفيق فيه وبركته.

إنّ الإنسان المؤمن مهما وجد صعوبة وغربة في هذا السبيل، لكنه لا يفقد الثبات والعزيمة على السير الراشد وتثبيت الآخرين عليه، ولا يستوحش من غلبة الشبهة وكثرة المفتتنين، فمنذ القدم كانت القلة من الناس ممن يتبصر التبصر الملائم ويتحرك وفق الاتجاه السليم، بل كان أكثر الناس هم بين قوم يتساهلون في معرفة الحق، وآخرين تتغلب عليهم المطامع والعصبيات والأهواء رغم معرفتهم بالاتجاه السليم.

كما يثق المؤمن في الأحوال كلها بأن للحق دولة كما أن للباطل جولة، ويطمئن بأن مسار الحق والرشد لا بد من أن يغلب يوماً وأنّ هذه الحياة إنما هي اختبار للإنسان، فالمهم فيه أن يدرك الحقيقة ويسير في اتجاهها؛ لأنه قد يجد في ذلك عناءً ولكنه لن يشقى، وإنه في الأحوال كلها بعين الله سبحانه، وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(١)، وقال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٢).

(١) سورة العنكبوت: الآية٦٩.
(٢) سورة آل عمران: آية٢٠٠.

هي الطفوف

السيّد أحمد علي خان المتوفّى قبل سنة (١١٦٨هـ)

هي الطفوف فطف سبعاً بمغناها　　فما لبكة معنى دون معناها

أرض ولكنما السبع الشداد لها　　دانت وطأطأ أعلاها لأدناها

هي المباركة الميمون جانبها　　ما طور سيناء إلا طور سيناها

وصفوة الأرض أصفى الخلق حل بها　　صفاه ذو العرش إكراماً وصفاها

منزه في المزايا عن مشابهة　　ونزهت عن شبيه في مزاياها

وكيف لا وهي أرض ضمنت جثثاً　　ما كان ذا الكون - لا والله - لولاها

فيها الحسين وفتيان له بذلوا　　في الله أي نفوس كان زكاها

إذ القنا بينهم كالرسل بينهم　　والبيض تمضي مواضيها قضاياها

أنسى الحسين وسمر الخط تشجره　　إذاً فما انتفعت نفسي بذكراها

أنساه يخطب أحزاب الضلال وقد　　أصمها الشرك والشيطان أعماها

فحين أعذر أعطى البيض حاجتها　　والسمر في دم أهل الغي رواها

إن كر فرت كأسراب القطا هرباً　　حتى تعثر أولاها بأخراها

فلت حدود سيوف الهند ما صنعت　　كأنه ما قراها يوم هيجاها

ولم تكن كفه هزت مواضيها　　ولم يكن كلما استسقته أسقاها

لـو عاينت يومه عينا أبي حسن … قـضى مـآرب حـق قـد تمـنـاهـا
أو كـان يـشهده في كـربـلا حسن … رأت أمـيـة مـنـه سـوء عـقـبـاهـا
يا باذل النفس في الله العظيم ولولا … الله بـارؤهـا مـا كـان أغـلاهـا
الأرض بعدك نظت ثوب زينتها … وجـداً وشـوه بعد الحسن مرآهـا
والشمس لولا قضاء الله ما طلعت … حـزنـاً عـليك ولا كـنا رأيـنـاهـا
تبكي عليك بقانٍ في مدامعها … ومـا بـكـت غـير أن الله أبـكـاهـا
واهتزت السبع والعرش العظيم ولولا … الله أصـبـحـت الـعـلـيـاء سـفـلاهـا
الإنس تبكي رزاياك التي عظمت … والجـن تحت طباق الأرض تنعاها
رزيـة حـل في الإسـلام موقعها … تنسى الـرزايا ولكن ليس تنساها
وكيف تنسى مصاباً قد أصيب به … الطهر الـوصي وقلب المصطفى طه
خطب دهى البضعة الزهراء حين دهى … رزء جـرت بنجيع مـنـه عيناها
فـأي قـلـب لهـذا غـير منفطر … وجـداً فذلك أشجاهـا وأقساهـا
آل الـنـبـي عـلى الأقـتـاب عـارية … كـيـما يـسر يـزيـد عـنـد رؤيـاهـا
ورأس أكـرم خـلـق الله يـرفعه … عـلى الـسـنـان سـنـان وهـو أشـقـاهـا
فـيـالـه مـن مـصـاب عـم فـادحه … كـل الـبرية أقـصـاهـا وأدنـاهـا
تـبـكـي لـه أنـبـيـاء الله موجـعـة … ومـا بـكـت لعظيم مـن رزايـاهـا
وتـسـتـهـيـج لـه الأمـلاك بـاكـيـة … ومـا الـبـكـاء لـشيء من سجاياهـا
فـأي عـذر لـعـين لم تجـد بـدم … لو جف من جريان الدمع جفناها
تالله تبكي رزايا الطف ما خطرت … وكـلـما يـقـرع الأسـماع ذكـراهـا
تبكي مصارع آل الله لا برحت … عـلـيـهـم مـن صـلاة الله أزكـاهـا
حـتـى يـقـوم بـأمـر الله قـائمـنا … فـنـشـحـذن سـيـوفـاً قـد غـمـدنـاهـا

[أدب الطف: ج٦، ص٩]

حقوق الجوارح

الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام

وأمّا حقُّ اللّسانِ فإكْرَامُهُ عَنِ الخَنَا وتعْوِيدُهُ عَلَى الخَيْرِ وحَمْلُهُ عَلَى الأدَبِ- وإجْمَامُهُ إلّا لِمَوْضِعِ الحَاجَةِ والمَنْفَعَةِ لِلدّينِ والدّنْيَا وإعْفَاؤُهُ عَنِ الفُضُولِ الشّنِعَةِ القَلِيلَةِ الفَائِدَةِ الّتِي لَا يُؤْمَنُ ضَرَرُهَا مَعَ قِلّةِ عَائِدَتِهَا ويُعَدّ شَاهِدَ العَقْلِ والدّلِيلَ عَلَيْهِ، وتَزَيّنُ العَاقِلِ بِعَقْلِهِ حُسْنُ سِيرَتِهِ فِي لِسَانِهِ ولا قُوّةَ إلّا بالله العَلِيّ العَظِيمِ.

وأمّا حَقُّ السّمْعِ فَتَنْزِيهُهُ عَنْ أَنْ تَجْعَلَهُ طَرِيقاً إلَى قَلْبِكَ إلّا لِفُوّهَةٍ كَرِيمَةٍ تُحْدِثُ فِي قَلْبِكَ خَيْراً أوْ تَكْسِبُ خُلُقاً كَرِيماً فإنّهُ بَابُ الكَلامِ إلَى القَلْبِ يُؤَدّي إلَيْهِ ضُرُوبُ المَعَانِي عَلَى مَا فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أوْ شَرٍّ ولا قُوّةَ إلّا بالله.

وأمّا حَقُّ بَصَرِكَ فَغَضُّهُ عَمّا لَا يَحِلُّ لَكَ وتَرْكُ ابْتِذَالِهِ إلّا لِمَوْضِعِ عِبْرَةٍ تَسْتَقْبِلُ بِهَا بَصَراً أوْ تَسْتَفِيدُ بِهَا عِلْماً فإنّ البَصَرَ بَابُ الاعْتِبَارِ.

وأمّا حَقّ يَدِكَ فَأَنْ لَا تَبْسُطَهَا إلَى مَا لَا يَحِلّ لَكَ فَتَنَالَ بِمَا تَبْسُطُهَا إلَيْهِ مِنَ الله العُقُوبَةَ فِي الأجَلِ ومِنَ النّاسِ بِلِسَانِ اللّائِمَةِ فِي العَاجِلِ ولَا تَقْبِضَهَا مِمّا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْهَا ولَكِنْ تُوَقّرَهَا بِقَبْضِهَا عَنْ كَثِيرٍ مِمّا يَحِلُّ لَهَا وبَسْطِهَا إلَى كَثِيرٍ مِمّا لَيْسَ عَلَيْهَا فإذَا هِيَ قَدْ عُقِلَتْ وشُرّفَتْ فِي العَاجِلِ وَجَبَ لَهَا حُسْنُ الثّوَابِ فِي الآجِلِ.

وأمّا حَقُّ رِجْلَيْكَ فَأَنْ لَا تَمْشِيَ بِهِمَا إلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكَ ولَا تَجْعَلَهُمَا مَطِيّتَكَ فِي الطّرِيقِ المُسْتَخِفّةِ بِأَهْلِهَا فِيهَا فإنّهَا حَامِلَتُكَ وسَالِكَةٌ بِكَ مَسْلَكَ الدّينِ والسّبْقِ لَكَ ولا قُوّةَ إلّا بالله.

وأمّا حَقّ بَطْنِكَ فَأَنْ لَا تَجْعَلَهُ وِعَاءً لِقَلِيلٍ مِنَ الحَرَامِ ولَا لِكَثِيرٍ وأنْ تَقْتَصِدَ لَهُ فِي الحَلَالِ ولَا تُخْرِجَهُ مِنْ حَدِّ التّقْوِيَةِ إلَى حَدِّ التّهْوِينِ وذَهَابِ المُرُوّةِ وضَبْطُهُ إذَا هَمّ بِالجُوعِ والظّمَإِ فإنّ الشّبَعَ المُنْتَهِيَ بِصَاحِبِهِ إلَى التّخمِ مَكْسَلَةٌ ومَثْبَطَةٌ ومَقْطَعَةٌ عَنْ كُلّ بِرٍّ وكَرَمٍ وإنّ الرّيّ المُنْتَهِيَ بِصَاحِبِهِ إلَى السّكْرِ مَسْخَفَةٌ ومَجْهَلَةٌ ومَذْهَبَةٌ لِلْمُرُوّةِ.

وأمّا حَقّ فَرْجِكَ فَحِفْظُهُ مِمّا لَا يَحِلُّ لَكَ والاسْتِعَانَةُ عَلَيْهِ بِغَضّ البَصَرِ فإنّهُ مِنْ أعْوَنِ الأعْوَانِ وكَثْرَةِ ذِكْرِ المَوْتِ والتّهَدّدِ لِنَفْسِكَ بالله والتّخْوِيفِ لَهَا بِهِ وبالله العِصْمَةُ والتّأْيِيدُ ولَا حَوْلَ ولَا قُوّةَ إلّا بِهِ.

[رسالة الحقوق]